

العيش الشمسى

عبدالناصر شاكر القط

٢٠١٦م

اسم الرواية :

العيش الشمسى

المؤلف :

عبدالناصر شاكر حميد عبدالحليم

الأحداث :

محافظة قنا – مركز نقادة

قرية الهدايات وما حولها من قرى.

المراجعة اللغوية :

د.محمد فكرى حميد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٦/٢٧٢٢٥

تنويه

* استخدام بعض الألفاظ والمفردات من اللهجة المحلية.

* تطابق أحداث وشخصيات الواقع الفعلى مع أحداث وشخصيات الرواية هو من قبيل الصدفة البحتة.

* اقتباس ونشر أى من أحداث الرواية لا يتم إلا بموافقة خطية من الكاتب.

مدخل

جلس الجد وأولاده وأحفاده فى صالة المنزل كعادتهم يتسامرون ويحكى الأولاد لأبيهم ما تم اليوم فى حقلهم وزراعتهم وأعمالهم وينصحهم بما يتم عمله من سابق خبرته بفنون الزراعة ومتطلباتها والأحفاد يستمعون ما يدور من أحاديث وربما غمَّ عليهم بعض

الكلمات والأساليب لأنها لم تعد تستخدم فى أيامهم هذه وبعدها يطلب الأحفاد من جدهم أن يحكى لهم حكايات الزمن الماضى التى عاشها وشارك فى أحداثها فى قريته وما جاورها من قرى أخرى وبعد جهد جهيد وإلحاح شديد من الأحفاد وافق الجد على أن يحكى لهم كل ليلة حكاية.

الليلة الأولى

يحكى أن

الشيخ عطوة كبير بنى بحلوس وأكثرهم غِنًا يمتلك من المال والطين ما يكفى لبنى بحلوس جميعًا.

قرر السفر للحج وترك زوجته وابنته المتزوجة من ابن عمها – سالم

أبوبحلوس – وابن صغير السن هى المسؤولة عنه وعن أمها فى غياب أبيها.

أقيمت الأفراح ونصبت الزينات فى كل بيت من بيوت بنى بحلوس المحدودة العدد ابتهاجًا بسفر كبيرهم لأداء فريضة الحج .

سافر وترك ثروة من الجنيهات الذهبية لا بأس بها بعلم ابنته وزوجته وارتحل إلى مدينة قوص لينضم إلى وفود الحجيج المتوافدة على المدينة

ليبدأوا رحلة الحج منها إلى السويس ثم يركبون البحر إلى ينبع ببلاد الحجاز ومنها إلى مكة والمدينة.

الحفيد(احمد) : ليه يا جدى ما سافرش بالطيارة ؟

أخوه الأكبر(جمال) : ما كانش فيه طيارات فى ذاك الوقت.

الأخت(هدى) : بلاش نقاطع جدو كل شوية وخليه يكمل الحدوتة ؟

الجميع فى نفس واحد : كمِّل يا جدو كمِّل.

وأكمل قائلًا :

اصطحب الكبير أحد أفراد الخدم الموجودين عنده حتى يكون فى خدمته وهو يؤدى الفريضة وقام الخادم بواجبه على أكمل وجه وبعد انقضاء موسم الحج يمرض كبير بنى بحلوس ويَلقَى ربه هناك ليعود الخادم وحده فى جنح الليل ويتسلل الى القرية فتقابله ابنة الكبير فيخبرها بوفاة والدها- فتكفى على الخبر ماجور- ثم تذهب الى بيت أبيها وتحمل ما

خف وزنه وغلا ثمنه وتنقله الى بيت زوجها الذى هو ابن عمها وتم ذلك بعلم والدتها.

تطلق لصوتها العنان فى الصراخ والنحيب على والدها الذى رحل ولم يعد إلى القرية حتى ولو جثة هامدة.

الحفيد : ليه ما اتصل الخادم من محموله وأخبرهم بوفاة الشيخ ؟

ضحك الجميع وقالت الحفيدة مكانش فيه محمول فى تلك الأيام ولا حتى تليفون أرضى وبلاش تقطع

حبل أفكار جدك كل شوية وخلية يكمل لنا الحكاية.

معلش يا جدو علشان خاطرى كمل الحكاية والواد المفعوص مش حيقاطعك تانى فى الكلام.

استطرد الجد قائلًا :

اتفقت بنت الكبير مع زوجها على شراء أرض وعقارات بتلك المبالغ التى وجدوها بداخل صندوق والدها الذى استولت عليه بعد وفاته على أن يتقاسما المشتريات بالنصف.

زادت مساحة الأرض المشتراة وكثرت الأموال والمتاع وتوسعت الرقعة الزراعية حتى أصبحت وسية يديرها زوجها وكثير من الأُجراء من أبناء القرية والقرى المجاورة من بنى قَرْن وبنى هُدَىّ وبنى ضَيّ

لم يرزقهما الله زرية من أولاد أو بنات ربما كان ذلك سببًا فى شحها وعدم رغبتها فى عمل الخير والإنفاق على الفقراء والمساكين من أقاربها وأهل قريتها فالكل يشكو منها

ويحكى ويتحاكى بقصص بخلها وكيف أنها كانت تلقى بأجرار الجبن والمش فى النيل ولا تعطيها حتى للأجراء فى أرضها لينتفعوا بها أو يأكلوها استمرت على هذا الحال حتى تقدمت بها السن وماتت غير مأسوف عليها من كل أبناء قريتها لتترك زوجا كهلًا ووسية ورثها منها وضمها إلى نصيبه وبات له حوش بهايم به من الأبقار والجاموس ما يكفى البلدة كلها ونصيب من الأرض

الزراعية يقدر بالعشرات من الأفدنة.

كبر أخوها وتزوج وأنجب البنين والبنات وليس له من الأملاك سوى بضعة أفدنة ورثها عن والده ولم تأخذ أخته منها شيئًا وتجملت بها على أخيها وأولاده.

كبر الأولاد وشَبُّوا ليروا عمتهم فى كل هذا النعيم هى وزوجها ولايوجد وريث لهما فكبر فى نفوسهم الاعتقاد بأن مصير تلك الوسية سيؤول إليهم بعد وفاة عمتهم وزوجها وأخذ

البعض منهم يتصرف على هذا الأساس بل ويسمعهم هذا الكلام كأن يقول لزوج عمته مثلًا (تتعب ما تتعب فى الآخر كل شىء سنرثه منك وإن لم تعطنا إياه الآن سنأخذه غدًا).

*****

الجد ينظر لحفيدته(ساره) : قومى يابت سوِّى كبَّاية شاى علشان أَسْتَمَخ وأعرف أكمل الحكاية.

الحفيدة :حاضر ياجدى. بس بشرط ما تكملش الحكاية لغاية ما أسوى

الشاى .

أعدت البنت كأس من الشاى لجدها ولم تنس أن تضيف له كمية زائدة من الشاى الناشف لأنها تعرف مزاج جدها.

الحفيدة : كباية شاى تقيله علشانك ياجدى.

الجد : بارك الله فيكِ يا جدى.

أخذ الجد رشفـة من كـوب الشاى وبدأ يكمل حديثه :

موسم الحصاد لمزروعات الأرض من القمح والفول والعدس والحلبة هى أيام خوالى بالنسبة لأهل القرية لأنهم سينضمون للعمل فى أرض سالم أبو بحلوس ويأخذ كل واحد أجره ويصرف به على أسرته المعدمة.
يستمر الحصاد وشِيل المحصول إلى أرض الجرن ما يقرب من شهر كامل بعدها تُجَرَّن كل غلة فى جرن وحدها فهنـاك جرن القمـح وآخـر للشعيـر وثالث للفول ورابع للعدس ... .

تبدأ بعدها عجلات النوارج فى درس المحصول حيث يجر النورج اثنان من الثيران أو ثور وبقرة أو بقرة وجمل وتدور فى دائرة حول القش المُشوَّن وتقوم بتكسيره ثم يُرفع فى شكل سور حول دائرة النورج ثم يفرش مكانه قش من الجرن ويُكسَّر ويرفع على السور وهكذا حتى ينتهى تكسير كل الجرن وتصبح حلقة الجرن فارغة من الداخل.

تبدأ مرحلة تنعيم القش فيزداد تكسير القش ويرفع فى وسط الدائرة الفارغة ثم يأخذ من السور ويوضع تحت عجلات النورج ثم يرفع بعد تنعيمه على الجرن وهكذا حتى ينتهى كل السور ويصبح الجرن بداخل حلقة النورج وبعدها يتم انتظار هبوب الريح وبخاصة الطيَّاب المصرى الذى يهب من الغرب الى الشرق.

فينشغل الصغار بسَري النخل (التقاط البلح الساقط على الأرض

بفعل الرياح) ويُغِير الرجال على قُطِّيَّة
الجرن وكل منهم ممسكًا بمدراة ويبدأ
فى نثر التبن المحمَّل بالغلال فى
الهواء فيأخذ الهواء التبن الخفيف
ويفر به بعيدًا عن مكان الجرن وتسقط
الغلال من ثِقَلِها إلى أسفل ويستمر
هذا العمل حتى يتم فصل كُرْبَال من
الغلال عن التبن ويتم بعدها تعبئة
الغلال فى شوايل سعة كل واحد
نقيصة (ثمان كيلات مصرية) وترفع
لتخزن فى البيت حتى يأتى التجار من

البندر لشرائها بعد دفع ثمنها أما التبن فيستخدم كعلف للمواشى والأغنام .

نظر الأحفاد لأخيهم الأصغر لأنه بدأ يتململ فى جلسته وسأله أخوه :

مالك ؟ ماتقعد هادى.

أنا مش فاهم حاجة من كلام جدى!

النورج... جرن...مِدْرَاية ... قُطِّيَّة.

يا تسمع وأنت ساكت ياتقوم تنعس، هكذا نصحه أخيه.

*****

ويتنهد الجـد بنفس عميـق وأخـذ

يكمل كلامه :

تمر الأيام وما زال سالم أبو بحلوس وفيا لزوجته وابنة عمه الراحلة وفى إحدى المناسبات حضر عمدة بنى زايد وقابل سالم أبو بحلوس وسلَّم عليه وفاتحه فى أمر زواجه فقال سالم : "من يعطنى ابنته وأنا فى هذه السن الكبيرة".

فوقعـــت الكلمـــة فى روع العمـدة وكانت له بنت على وش زواج وكثر الخطاب لها لأنها ابنة العمـــدة ولكنه

كان يرجئ أمر زواجها بحجة أنها صغيرة وهو فى الحقيقة لم يجد لها الشخص الكفء فانتهز الفرصة وقال العمدة لسالم : " أنا أزوجك بنتى ".

ومن ليلتها ذهب سالم لبيت العمدة وتمت الخطبة وتقديم المهر وأخذ عروسه إلى بيته وما هى إلا عدة سنوات حيث رزقه الله بثلاثة من الأولاد ومثلهن من البنات وتغيرت نظرة أقاربه إليه وكَش الطامع ولزم

حده كل من كان ينتظر وفاته حتى يرث نصيبه من تركته.

ولايعكر صفو تلك الحياة إلا سرقة بعض المواشى من قبل عربان الجبل ولا يتم إعادتها لأصحابها إلا بعد دفع مبلغ من المال عن طريق وسيط يسلم المبلغ ويستلم المسروقات.

عند هذا الحد من الحكاية تدخلت والدة الأطفال وقالت لهم كفاية كده علشان جدكم ينام مع وعد بتكملة الحكاية فى ليلة القادمة.

الليلة الثانية

رحلة الحج

اجتمع الأحفاد حول جدهم وهو يجلس على سريره فى الحوش بالقرب من بئر الماء وتحت شجرة الحناء التى تعطر المكان برائحتها الذكية وضوء القمر فى اليوم الثالث

عشر من الشهر العربى يضىء المكان وألحجن عليه لتكملة الحكاية وفى استجابة سريعة منه قال :

جلس الشيخ عطوة فى ديوان العائلة بعد أن تم تجهيز الدِّكَك وفرشها بالحصر العَدَبَان ورش الأرض بالمياه حتى لا يفسد غبار التراب جو القَعدة ويعكنن على الحضور الذين سيتوافدون على ديوان العائلة للسلام على الشيخ عطوة قبل سفره فى رحلة الحج.

الحفيد : إيه الدِّكَك يا جدى ؟

البنت: مقاعد زي الكَنَب يا أبو لسان مِتْبَرِّى منك.

جاء وفد من بنى هُدَي مكون من عدة أنفار كل منهم يركب حمارًا عليه بردعة ويلبس أحلى ما عنده من ملابس وهى البَفْتَة السوداء وعلى رأسه العمامة والشُّقَّة وينتعل برجليه حذاء ولو نصف عمر وقبل أن يصلوا إلى الديوان يتقدم إليهم بعضًا من أهل الشيخ عطوة وينزل الرهط من

الركائب ويتركوها كى يشد وثاقها فى حلس أعد خصيصًا لتربط به الركائب ويتقدم الضيوف إلى الديوان.

الحفيدة(هاجر) : ليه الركايب يا جدى ما كانش فيه عربيات ؟

الجد : يا بنتى فى الأيام دى مديرية قنا كِلَّاتها مكانش فيها عربية.

الحفيدة : كيف كنتم تسافرون إلى قنا يا جدى ؟

الجد: كنا ننتظر الحرزونة بتاعت أبو رجيلة فى نجع الترعة فى الصبح

البدرى واللى تفوتة يؤجل السفر لليوم التانى.

الحفيدة : تنظر لأخيها عاوز حاجة قبل جدك مايكمل ؟

الحفيد : إيه الحرزونة ؟

الحفيدة :جدك يقصد الأتوبيس.

الحفيد الأكبر : كمل ياجدى .

الجد :

يلقون السلام على أهل المكان ويسلموا عليهم يدًا بيد ويجلسوا على الدكك المعدة سلفًا للجلوس وكل

منهم يضع نبوته بين رجليه ومسنودًا على كتفه.

يمر عليهم بعضًا من أهل المكان يحيونهم بالسجائر أو بأقداح من الماء والقهوة وتدور الأحاديث والحكايات ويوصى بعضهم الشيخ عطوه ببعض الوصايا :

"خلى بالك من نفسك يا حج، إوعه تنسانى وأنت جاى لازمن تجبلى معاك سبحة "

ويقول آخر:

"وأنا متنساش تجبلى سجادة صلاة من عند الحبيب "

ويقول ثالث :

"ماتنساش تحط فى الخُرْج بتاعك عيش كتير عشان السكة بعيدة، وحياة النبى ما تنسى تدعيلنا فى الكعبة ".

ويقول رابع:

"متنساش تسلملى على أبو فاطمة ".

الشيخ عطوة يومئ برأسه ويبتسم دليلًا على الاستجابة لطلبات الضيوف

يظهر فى بداية الشارع وفد جديد من بنى زايد جاء لتوديع الحج عطوة ومن خلفهم وفد من بنى ضَي.

يزدحم المكان وتسلم كل مجموعة على المسافر وتترك المكان لغيرها.

*****

الحفيدة :الرجالة بس اللى يودعو الحج ياجدى؟

الجد :لا يابتى على الجانب الآخر وداخل بيت الشيخ عطوة تجمعت نساء القرية الكبيرات والصغيرات

وأخذن يضربن بالدف ويغنين بالتناوب فيما بينهم :

حجنا راح يزور

زار الكعبة والرسول

يارب يسلِّم حجنا

ياحج لما نويت

زرت الحرم والبيت

وفى أرض الحجاز صليت

يارب يسلِّم حجنا

وتغنى أخرى :

لما نويت يا حــج خد البندقيه

تلقى ولاد العرب على العد ميه

لما نويت يا حج خد الكهرمانه

تلقى ولاد العرب على العد يَامِه

لما نويت ياحج خد أمك فطولك

تسلم الحجه وتسلم حمولك

ويردد الباقون :

حجنا يا حجنا   يارب يسلّم حجنا

وتقول ثالثه :

يارايحين الحجاز خدونى معاكم

وقدام باب الحرم أسوى غداكم

يا طالعين الحجاز خدونى

وعند باب الحرم أغسل همومى

ويردد الباقون :

حجنا يا حجنا   يارب يسلِّم حجنا

ورابعة :

حجنا يا حجنا ريت إيه فى نبينا ؟

ريت خطيب بيخطب وراكب هجينا

حجنا يا حجنا ريت إيه فى محمد ؟

ريت خطيب بيخطب وراكب موَّلد

ويردد الباقون :

حجنا يا حجنا   يارب يسلِّم حجنا

******

بعد سفر الحاج بعدة أيام تم الإتفاق مع الرسام الذى يقوم بعمل الرسومات على جدران بيوت الحجاج حتى يميز بيت من أدى الفريضة من غيره وفى اليوم المحدد نصبت السِّقَالة على واجهة البيت وبدأ الرسام يرسم مناظر الحج ...هنا على اليمين صورة للكعبة المشرفة وبجوارها صورة لقبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وثالثة للباخرة التى أقلت الحاج عبر البحر

حتى وصل إلى جدة ولم ينس كتابة يافطة أعلى باب البيت الرئيسى تحمل اسم الكبير وتاريخ الحجة حتى تعرف الأجيال المختلفة متى تم ذالك كل هذا وسط تهليل وفرحة من أهل البلد وتبارى بعضهم فى إعطاء النقطة للرسام تقديرًا لفنه ومجاملة للحاج.

طَرقات خفيفة على الباب تقدم الحفيد الأكبر ففتح الباب إذ بوالده يدخل فيجد الأولاد حول جدهم فينهرهم ليه مسهرين جدكم لغاية

دلوقتى ؟ جدكم لازم ينام بدرى علشان يصحى لصلاة الفجر.

قوموا كل واحد لفرشته وسيبوا جدكم ينام.

الليلة الثالثة

لسعة العقرب

لفصل الصيف طقوس خاصة فى حياة أهل القرية لحره الشديد مما يجعلهم يتنسمون الهواء تحت ظل شجر السنط أو شجر الأَثْل لكثافة ظله الحشرات والزواحف لا تتحمل درجة

الحرارة العالية فعندما يجن الليل وتجتمع الحرارة العالية مع الظلام الدامس تخرج العقارب من آكامها وتتحرك بحرية تبغى حاجتها من المأكل وتلدغ كل من يقف فى طريقها دفاعا عن نفسها من هذه النقطة بدأ الجد حكايته مع أحفاده :

جلس إبراهيم وسط إخوته ووالديه على سرير من الجريد أمام منزلهم يأنسهم بعض الضوء المنسل من القمر عبر جريد النخيل الذى

ترتفع هاماته أعلى من بناية البيت الجالوس الذى يسكنه مع والديه وإخوته.

يطلب والده كوبًا من الماء من الزير الموجود داخل البيت ينزل إبراهيم من السرير ويسير حافى القدمين ويتخطى عتبة البيت فيضع رجله وقبل أن تلامس الأرض يصرخ بأعلى صوته بشعوره بلسعه فى قدمه فيقفز والده من السرير ويخرج علبة الكبريت من جيبه وبسرعه يشعل أحد

الأعواد حتى يستكشف الموقف ويعرف السبب فيرى عقرب مسرعة من المكان لشعورها بالضوء المشتعل من عود الكبريت وهى تسرع حتى تجد مكانا تختبئ به.

الحفيد :إبراهيم ليه ما كانش لابس البوت ؟

الجد :ماكانش معاه مداس زيك ياولدى.

يحدث هرج ومرج داخل البيت فيخلع الوالد قبقابه وينهال ضربًا على

العقرب حتى تموت ويسرع ليساعد والدة إبراهيم التى أمسكت بقصبة رجل ولدها فيخلع الوالد شاشه ويربط به رجل ابنه أعلى من مكان اللسعة حتى لا يتسرب السم إلى باقى جسمه ويصل إلى قلبه فيسبب وفاته.

اجتمع الجيران على صوت الأم العالى وصراخ الابن، أمر أحدهم الشاب (عايد) بأن يركب الركوبة ويذهب إلى الشيخ ياسين الحاوى ويحضره بسرعة من بيته حتى يقوم

بِحَوي اللدغة بينما قامت إحدى الجارات بإحضار كوب ماء موضوع به بعض الحناء والزيت ووضعتها فى فم إبراهيم ليشربها حتى تعوق سير السم فى جسده.

ووضع آخر يده على مكان اللدغة وأخذ يقرأ بفاتحة الكتاب وثانى يذكره بأن لا يؤمن بعد نهاية قراءة الفاتحة ثم يكرر القراءة مرة ومرة حتى يصل الشيخ ياسين.

الحفيد الأكبر : مين راح بيه الوحدة الصحية ؟

الجد :ماكانش فيه وحدة صحية ولا يحزنون ياولدى.

أصوات عالية من بعيد تحث الدابة على السير ويظهر عدد غير قليل من شباب القرية يسيرون حول الدابة ويكادون يحملونها بالشيخ ياسين حتى يصلوا إلى الملدوغ بسرعة ويتم علاجه.

نزل الشيـخ ياسيـن وطلـب مـن

الحاضرين إفساح المجال له كى يجلس بجوار إبراهيم وبعدها هدأت النفوس وقل البكاء والنحيب وخفضت الأصوات والكل يترقب ويراقب الشيخ ياسين الذى أخرج من جيبه كيس قماش قديم أكل عليه الدهر وشرب وفتحه وأخرج ما بداخله وهو عبارة عن موس حلاقه ومِحْجَم يشبه القمع الصغير مصنوع من الصَّفيح.

وضع الشيخ ياسين يـده على مكان

اللدغة وأخذ يُعَزِّم ويقرأ ببعض آيات القرآن الكريم وبعض التعاويذ الأخرى غير المفهومة وكل فترة يسأل إبراهيم عن مكان الألم فيخبره أنه يتنقل ويقترب من مكان اللدغة حيث كان فى البداية عند الركبة ثم انحصر فى قصبة الرجل وها هو الآن يقترب من مكان اللدغه الذى يضع عليه - الشيخ ياسين - أصبع يده الكبير ويزيد من القراءة حتى يتجمع كامل السم فى محيط صغير من مكان

اللدغة ثم استل شفرة الحلاقة وأخذ
يُشَرِّط مكان اللدغة فيخرج منها الدم
محملًا ببعض الرِّيم الأبيض وهو
السم الذى دخل الجسم ثم يضع
المحجم على مكان التشريط ويشفط
بفمه من الطرف الآخر للمحجم
فيخرج مزيد من الدم وكرر هذه
العملية ثلاث مرات حتى شعر إبراهيم
بأن الألم بدأ يقل عن ذى قبل ثم
طلب بصلة وشقها نصفين وأخذ
يمررها على مكان التشريـــــط فتكوى

الجروح التى سببها.

عند هذا الحد شعر إبراهيم بأن الألم خف عن ذى قبل وأن كان يعاوده من آن لآخر بسبب أن جزءًا من السم مازال فى الجسم ولكنه لا يمثل خطورة.

أمسك أحد الشباب بعود كبريت وأراد أن يحرق العقرب المقتولة بجوار الحائط ولكن أحد الحاضرين نهره وقال له: " إن حرقتها سوف تقترب كثير من العقارب من هذا

المكان والأحسن من هذا عمل حفرة صغيرة ودفنها فيها".

انتهى الشيخ ياسين من عمله وجلس يحكى مع الحاضرين ويشرح لهم أن للعقارب أربعة وأربعين نوعًا منها المميت ومنها السام وغير السام.

وبعد أن شرب الشاى دسَّ والد إبراهيم يده فى جيب الشيخ ياسين واضعًا به حِتَّه بخمسة قروش شاكرًا إياه متمنيًا له الصحة وطول العمر.

*****

تشرق الشمس كعادتها كل صباح ويسبق شروقها حركة ست البيت وهى تجهز طعام الإفطار لأبنائها بعد أن ملأت جرار المياه من النهر قبل أن يصحوا الأولاد ويتناولوا طعام الإفطار ويذهب كل منهم إلى عمله إبراهيم الابن الأكبر يساعد والده فى العمل بالفلاحه فى أرضه التى لا تتجاوز مساحتها الفدان الواحد وفى معظم الأحيان يعمل أجيرا عند بعض الفلاحين أو يعمل فى جمع اللَّطْعَة

من محصول القطن أو أى عمل يدر عليه دخلا آخر النهار حتى يستطيع مساعدة والده فى نفقات ومصروف البيت حتى ولو بثمن الدخان الذى يشربه والده.

إيه رأيك يا أبو إبراهيم الواد كبر ما تخليه يسافر مع ولاد عمه ؟

إبراهيم لسه صغير وميقدرش يفارقنا.

لسه صغير كيف يا ود أبوى وعنده تلاطاشر (١٣) سنة.

يمكن ما يقدرش على شغل البوظة ويتعبهم هناك !

أنا حَوَصِّيهم علية يعطوه البوظة جاهزة وما عليه إلا السَّرْحَة وبلاد الفلاحين ناس غلابة زى حالتنا وهو يساعدك بقرشين لوازم مصاريف الشتاء.

زى بعضه ياود أبوى.

فى يوم السفر ودع إبراهيم والده ووالدته وإخوته واصطحبه ابن عمه عبدالفتاح قاصدًا مدينة قوص كى

يستقلا منها القطار الى القاهرة ومنها الى مدينة حلوان التى اعتاد عبدالفتاح السفر إليها كل عام يقضى بها معظم شهور الصيف يبيع البوظة (مشروب مصنع من الدقيق والسكر) ويعود فى نهاية فصل الصيف محملًا بكسوة لإخوته وملاية مَحلَّاوى لزوم الغطاء فى فصل الشتاء ومبلغ من المال يعطية لوالده ليساعده فى مصاريف البيت طوال فصل الشتاء ولا ينسى شوية الرز والمكرونة خزين السنة.

ركب إبراهيم القطار لأول مرة فى حياته وجلس بجوار الشباك وتحرك القطار وابتعد شيئًا فشيئًا وقلب إبراهيم ينخلع مع كل اهتزازة للقطار على القضبان ويطمئن نفسه بالمنظر خارج القطار حيث المزارع الواسعة والطرق الفسيحة والحركة المملوءة بالحيوية ويحادث نفسه: "هذه الأرض مثل أرضنا لكنها أوسع وهذه البيوت مختلفة عن بيوتنا "، وكلها مناظر جديدة بالنسبة له ومنها نشأ الاختلاف

والمقارنة بينها وبين قريته والذى يصب فى صالح المنظر الذى يراه من الشباك .

جن الليل وغلبه النعاس والقطار لم يصل لبغيته حتى أصبح الصباح وطلعت يا محلى نورها شمس الشموسة وهى تداعب وجهه من خلال أشعتها الذهبية وصوت ابن عمه يحثه على الاستيقاظ وما أن فتح عينيه حتى أصابته الدهشة مما رأى.

نظر إلى ابن عمه، وسأله إحنا فين

يا ود عمى ؟ ولم ينتظر الإجابة واستطرد وإيه البيوت العالية قوى دى؟ ودى يركبولها بسلم زى اللى عندينا ؟

ابتسم ابن عمه وقال له شوف يا أبوعمه البلد دى اسمها المعادى يعنى قربنا على الجيزة وحننزل هناك ومنها حنركب تاكسى لغاية حلوان.

مكث إبراهيم ثلاثة شهور مع ابن عمه عبدالفتاح يعد له صفيحة البوظة كل صباح ويسرح بها وفى منتصف

النهار يعود للسكن بما رزقة الله من نقدية يعطيها لابن عمه فيأخذ منها تكلفة السَّرْحة ويُعِين له الباقى فى حصاله لآخر الموسم ومع مرور الأيام بدأ إبراهيم فى التعود على التعامل مع المجتمع الغريب علية شيئًا فشيئًا حتى أنه بدأ يُعَوِّج لسانه ويتحدث كأهل البلد ولم ينس أن يكتب خطاب لأبيه يطمئنه فيه على صحته هو وابن عمه وأنهم فى أحسن حال وأرق بال وماينقصهم إلا

مشاهدة القرية وأهلها وما أن وصل الخطاب لوالد إبراهيم عن طريق الأستاذ نجيب ساعى البريد حتى أطمئن وطمَّن زوجته على ابنها ودعى له بالصحة والعودة سالمًا.

الليلة الرابعة

الزواج

كبر إبراهيم ودخله العيش وبدأ يثير المشاكل مع والده ووالدته تارة ومع إخوته تارة أخرى ويترك البيت باليوم والإثنين لأتفه الأسباب.

همس عبدالمولى (عم إبراهيم) فى

أذن أخيه أبو إبراهيم : "ماتجوز الواد حتى يهدأ ويستكين".

"والله معاك حق يا ود أبوى يظهر إن الود كبر وأنا مش دارى".

"عندك عروسه للواد ؟"

"دى شغلانة أمه تسأل وتتطقس لحد متلاقى لنا عروسه "حلوه ورخيصة وبت ناس".

"بت يا أم إبراهيم ما تقعدى مع ولدك وتشوفيه يمكن تكون عينه من واحدة من البنات نخطبـها له ونجـوزه يمكن

ربنا يهديه ويستكن ويبطل مشاكل".

ردت أم إبراهيم :-

"مايصحش يا أبو إبراهيم أنت أبوه وتفاتحه فى الموضوع ده إنتوا رجاله وتفهموا بعض"

"نفهموا بعض منفهموش بعض أنا قلت تشوفيه يعنى تشوفيه "

"حاضر حاضر متزعلش نفسك، والله وكبرنا يا أبو إبراهيم وبقى معانا ولد عاوزين نخطب له عروس ".

"إنت اللى مَرَة كِبرتى وعَجّزتى.أما أنا عاوزلى عروسه بنت بنوت".

"خلاص خلاص يا أبو إبراهيم قَفِّلها سيره وأنا حشوف عروسه لإبنى إبراهيم".

بس خلى بالك من الجماعة جيرانا أنت عارفة إحنا بينا وبينهم عهد فى مسألة الجواز ومن يوم قتيل أبوعقدة لا بناخد منهم ولا نديهم وأوعى تروحى تخطبى منهم وتسببى لنا مشكلة .

أنا عارفة كلة حاجة يا أبو إبراهيم وسِلو بلدنا وعاداتنا على العين والراس ومسبقتش عادة وخدنا منهم ولا إدناهم .

*****

وفى صباح اليوم التالى لبست أم إبراهيم ثوب القطيفة والجزمة اللَّمَّاعى والبِردة ومن تحتها الطرحة ولم تنس أن تتزين بكل حليها وذهبت إلى إحدى البيوت فى القرية لتخطب

بنتهم لإبراهيم بعد أن أخذت رأيه وفوضها فى هذا الأمر.

"سعدية بنتنا مليحة وزينة وتعرف تكتب وتقرا كمان علشان هى راحت المدرسة لغاية ساتة إبتدائى "هكذا قالت أم سعدية لأم إبراهيم عندما فاتحتها فى الموضوع وأستطردت أم إبراهيم قائلة : "عندنا غرفة فى البيت بنفضيها ونبيضها بالحيب والجير الأبيض علشان سعدية تنورها ونجوز فيها إبنى إبراهيم ".

بعد الاتفاق على المهر ولوازم الزواج من سرير بناموسية وصندوق لحفظ هدوم العروسة ولحاف للغطاء وبِردة للعروسة لزوم الخروج .هنا إعترضت أم سعدية وقالت "لا البِردة على العريس زى سِلو بلدنا وإحنا هنجيب صينية القلل مع طشت الغسيل وكمان هنودى السابع سبع غداوى مع سبع عشاوى كل عشوة خمس تجواز حمام وتلاتين رغيف شمسى هيتكفل الحبايب وأعمام

وأخوال العروسة بخمس عشاوى وتلات غداوى والباقى هيطلع من بيت أم سعدية ".

تجمع أهل العريس وأهل العروسة بعد أن أخذت أم سعدية رأى أعمام وأخوال العروسة وتم قراءة الفاتحة وقام شيخ الكتاب بالجرد للعروسة (البديل الشرعى لعقد القران على يد المأذون) مقدمه لهذا الزواج وأخذ بعض الحضور فى إطلاق الأعيرة النارية فى الهواء حتى يسمع كل أهل

القرية والحاضر يعلم الغايب أن سعدية بنت بهلول تم خطبتها إلى إبراهيم ابن زيدان وإن شاء الله سيتم الزواج عقب جَنِيَّة القطن يعنى بعد شهرين من الآن.

*****

تمر الأيام وينتهى أهل القرية من جمع محصول القطن وبيعه وتم تحديد يوم الخميس لزفاف إبراهيم على سعدية وفى ليله الحناء وفى بيت

العروس اجتمعت المدعوات من بنات القرية ونسائها وتم عجن الحناء فى ماجور كبير وأخذن يُزيِّن جسد سعدية وأيديها وأرجلها ببعض الرسومات وكل واحدة من الحاضرات لا تنسى أن تزين نفسها وهى تزين العروس وسط زغاريد وأغانى للعروس .

فى اليوم الثانى كان الفرح فى بيت العريس وأحياه فرقة المزمار البلدى وثلاث راقصات وتم تخصيص تَخْت

لهذا الغرض حتى تؤدى الراقصات وَصْلاتهن عليه وحتى يتمكن جميع الحضور من رؤيتهن والفرجه عليهن وهن يتمايلن طربًا على أنغام المزمار البلدى يتراقصن ويغنين بعض الغانى منها على سبيل المثال :

شِيل العجانية شيل

اللي معاه واحدة تخينة يوديها

للجزارين

شيل العجانية شيل

اللي معاه واحدة طويلة يوديها

للنجارين

شيل العجانية شيل

واللي معاه واحدة سوده يوديها

للنحاسين.

وما أن غربت شمس ذاك اليوم حتى تمت إضاءة عدد من الكلوبات للإنارة وتم وضعها فى محيط المكان المعد للفرح بعد وضع عدد من صفوف الدكك ليجلس عليها المدعوين والمشاركين فى الفرح.

فى الحوش المقابل لمكان الفرح تم إعداد طعام العشاء للمدعوين وتتم العزومة عليهم ويصطحبهم أحد أقارب العريس الى المائدة بعد أن يمر على اثنين من الرجال الأشداء اللذان يقفان على الباب ليمنعا الأطفال وصغار السن من الدخول إلى المائدة بحجة إفساد الأكل على الضيوف ولكن الحقيقه أن هؤلاء الأطفال لايملكون أموالًا للنقوط فى الفرح فيتم حرمانهم من العشاء.

بعد العشاء يتوجه المدعون للجلوس فى الفرح الذى يكون بدأ فى تقديم فقراته من الأغانى والرقصات بإستخدام موسيقى المزمار البلدى .يتم مرور الصحن على المدعوين لِلَم النقطة وهى الأموال التى يدفعها المدعون للعريس ويتم تدوين أسماء وقيمة النقطة لكل فرد مع ذكر البلد الذى ينتمى اليه حتى ما إذا أقام فرح طهور أو زواج لأحد أبناءه وجب رد تلك النقطة مع الزيادة

عليها فى معظم الأحيان وهو نوع من التكافل الاجتماعى بين الأسر .

ترك العريس وبعض أصحابه من الشباب الفرح بعد أن لبس الألاجة (ثوب من القطن مطعم بالحرير) وذهبوا لإحضار العروس من بيت أهلها مصطحبين حصانًا أبيضًا ليركبا عليه ويتم تسييرهم فى القرية ولف شوارعها وسط فرحة وزغاريد الأهل والمحبين حتى وصلت إلى بيت العريس وتم إدخالها لحجرتها بعد أن

سقتها أم إبراهيم كوبًا من اللبن وهى على عتبة البيت تيمنًا بأن يكون قدمها قدم خير على البيت وأهله.

دخل العريس والعروسة إلى غرفتهم بصحبة الماشطة وهى التى تقدم المشورة للعريس والعروسة وتعرفهم واجباتهم فى ليله الدخلة ثم تركتهم وانصرفت بعد أن تم قفل باب الحجرة عليهم حتى الصباح.

الليلة الخامسة

المرأة

أذن المؤذن لصلاة المغرب والتفت الأسره حول الطبلية وتناولت طعام العشاء وخرج كلٌ إلى حال سبيله الأطفال الصغار إلى نومـهم والشبـــاب إلى الشـــارع فى

انتظار آذان العشاء .

نادت أم إبراهيم على سعدية زوجة ابنها إبراهيم وقالت لها "حطى الحلة على الكانون" وكانت سعدية تعرف المطلوب فأمسكت بالحله النحاس وأفرغت فيها كمية كبيره من ماء الجرة ووضعتها على الكانون وأوقدت تحتها النار بعد أن دست فى الكانون قطعتين من القطقاط وأشتعلت النار فخلفت

جمرًا وبعد حوالى نصف ساعة كانت الحلة جاهزة بالماء الساخن.

حملت زوجه إبراهيم الحلة ومن خلفها أمه وذهبن إلى الخلاء فى كرم النخل على أطراف القرية بعد أن انضم لهن نسوة أخريات من جيرانهن وهناك تحت غزة النخيل تفرقت النسوة كل اثنين أو ثلاثة جلسن القرفصاء حول حلة من الماء الساخن وبعد أن رفعت كل واحده ملابسها إلى أعلى خصرها وأصبح

نصفها الأسفل عاريًا تمامًا لا يغطيه إلا سواد الليل وبدأن يحكين لبعضهن بعض الحكايات وهن يقضين حاجتهن وبعدها يبدأن بالتشطيف بالماء الساخن حتى لا تكاد تسمع إلا ارتطام الماء بأوراكهن وأردافهن وربما بأشفارهن ولا تخلوا حكاياتهن فى تلك الأثناء من سيرة الرجال وشغفهم بنسائهن وربما استعرضت كل واحدة شغف وحركات زوجها أمام الأخريات.

الواد عويس أبو حمدان واحد من أطفال القرية الأشقياء وربما لم يدخله العيش بعد فطن لتلك العملية وأراد أن يكشف عن ستر هؤلاء النسوة فلبد من المغرب وسط غزة النخيل وأخذ يتلصص عليهن ويستمع لحكايتهن مع بعضهن وهو يكتم أنفاسه ورأى منهن ما لم يره من قبل من الأرداف البيضاء الغليظه وهى تترقرق من اصطدام الماء بها مما جعل ذكورته تتحرك بين أفخاذه

وتنتصب رجولته ويمنى نفسه بتلك الأرداف لولا أن هناك من تختبئ بين غزة النخيل مثله وهو لا ينتبه إليها إلا بعد أن لسعته فى أخمص قدمه فصرخ بأعلى صوته.

هنا انتبهت النسوة إلى هذا الصوت الصادر من غزة النخيل فأنزلت كلٌ منهن ملابسها وسترت نفسها وتقدمت إليه إحداهن وأخرجته من بين سيقان النخيل وانهالت الباقيات عليه ضربًا

بالشباشب وهو يصرخ من ألم لسعة العقرب ومن هول ضربات النسوه وتوبيخهن له وأخذ علقة ما أخذها حرامى فى سوق نقادة.

هرب من بين أيديهن وجرى ناحية بيتهم وبدأ أهل بيته فى سقايته كوبًا من الزيت ودسوا فى فمه ليمونة ليمتصها وجرى أخيه الكبير ناحية بيت الحاوى ليحضره حتى تتم حوايته من سم العقرب .

دخلـــت أم عــويس مــن البـــاب

فوجدت كل أهل البيت وبعض الجيران حول عويس وطاطت على مداسها ونزلت على رأسه ضربًا واستنكر بعض الحاضرون تصرفها حتى أخبرتهم بما حدث من عويس فى الكرم وهى وسط النساء وهو لا يعرف من ظلمة الليل أن أمه تجلس خلف ظهره وهو يتلصص على النسوة اغتاظ الجميع من تصرف الولد وإذ بالحاوى يدخل عليهم وانتبه له الجميع بعد أن كظم كل

منهم غيظه وصبر نفسه حتى يتم حواية الولد من سم العقرب.

*****

الجرة ذاك الوعاء الفخارى الذى أبدع الإنسان الفنان فى تصميمه وتصنيعه حتى يتم تخزين المياه به أو استخدامها فى نقل المياه من نهر النيل للبيوت ولذا تجد النسوة يخرجن فى الصباح الباكر بعد صلاة الفجر يملأن الجرة تلو الجرة ويذهبن بها إلى البيت تفرغ إحداها

فى الزير للشرب منه طول النهار وتملأ الجرات الأخريات لاستخدامها فى أغراض المعيشة الأخرى من مأكل وغسيل وغيره.

أما فى ساعة العصارى فيأتى الدور على الفتيات البالغات أو ربما من هن أدنى من سن البلوغ يذهبن إلى نهر النيل لملئ الجرار فى جماعات كل ثلاثة أو أربعة معًا وكل واحده تفننت فى عمل اللَّوَاى – وهو الأداة التى تضعها الفتاة على

رأسها وتضع عليها الجرة فترتاح على رأسها – وينزلن المُورَدة المعدة والممهدة بالحجارة التى تغوص فى مياه النيل إلى مسافة عشرة أمتار أو تزيد – فينزلن حتى يصلن إلى رأس الحجر وهن يخضن فى الماء فتشمر كل منهن عن ساقيها فتظهر ملوحتها وصحتها وجمال جسدها من جمال وملوحة أرجلها وأقدامها.

بعض الشباب الراغب فى الزواج

يتلصص من أعلى الموردة بعد أن يضع نفسه فى مكان لا تراه منه الفتيات فيأخذ فى استعراض أجسادهن وحركاتهن وهن يملأن الجرار ويشيلن بعضهن وربما يتضاحكن ويتمايلن دون أن يعرفن أن هناك من يراقبهن وهو ينتقى منهن من ستكون زوجة له مستقبلًا .

قليل من ميسوري الحال من أهل القرية يؤجر السقَّا لملء الزير وجِرار الماء بالبيت بقربة أو اثنين من الماء

يوميًا يحملها السقَّا على كتفه أو على حماره مقابل أجر شهرى أو خِينَه يأخذها بعد الجرون.

الليلة السادسة

الفرن البلدى

يصنع الفرن البلدى من الطين المخلوط بروث الحيوانات ويتم عجن هذا المخلوط ويترك بضعة أيام حتى يتعفن ومنه تتم صناعة الفرن وهى عبارة عن دائرة قطرها يتجاوز

متر ونصف ثم يصنع لها جدار من حوافها إلى أعلى يضيق شيئًا فشيئًا مكونًا نصف كرة على باطن الفرن وبه فتحه من قمته من أعلى وأخرى من الأمام لإدخال العيش وإخراجه منها وفتحتان صغيرتان من الجانبين حتى يتم التحكم فى درجة حرارة الفرن.

ترفع الفرن على سرير معد لها عبارة عن عدة صفوف من الطوب الأحمر على شكل دائرة قطرها

يساوى قطر الفرن وبه فتحه واحدة تكــون على يميــن فتحة بطـن الفــرن لاستخدامها كموقد.

يتم تركيب الفرن على السرير وطلائها بالطين من جميع جوانبها ويتم حرقها بالوقيد وهو عبارة عن روث الحيوانات وبعض مخلفات النخيل المجففة وبعض قطع السنط المجففة وتقوم فتاه بِكر بإشعال النار فيها لأول مرة لاعتقادهم أن هذا

يجعل الفرن أكثر ملائمة وصلاحية لإعداد الخبز.

*****

العيش الشمسى (عيش الرُّغْفَان) و(البِتَّاو) لم يعرف أهل القرية غير هذين النوعين من الخبز حيث يصنع الأول من دقيق القمح بعد طحنه وغربلته بغربال السَّبِيب ثم عجنه فى الماجور المصنوع من الفخار وبعد إضافة الخميرة إليه يقطع وتوضع كل قطعة على دُورَة مصنوعة من الطين

المخلوط بروث الحيوانات وبعد أن تجف يتم فرشها بالنخالة التى تتبقى فى الغربال أثناء غربلة الدقيق ثم ترص الدُّوَار بجوار بعضها فى صفوف مواجهة لأشعة الشمس حتى تتم عملية التخمير – ولذا سمى العيش الشمسى – يزداد حجم الرغيف بفعل الخميرة وحرارة الشمس شيئًا فشيئًا وتقوم ست البيت بِدَبّه على هيئة دائرة قطرها أقل من قطر الدُّورَة ثم تُفْتَح بالعجينة أربع



الفرن البلدى

فتحات من جوانبه كل فتحة عبارة عن نصف دائره تسمى قرن أو تقوم باستخدام شوكة النخيل بالدوران حول محيط الرغيف وهى مغروزة به فتحدث قطعًا بطول محيط الرغيف.

تقوم ربة البيت بعد أن تحمى الفرن وتتأكد من تناسب درجة حرارتها مع درجة الحرارة المطلوبة للخبيز وذلك بأن ترمى على باطن الفرن خَبْشَة من الردة المستخدمة فى تَتْفِيل الدُّوَار فإذا ما اشتعلت بها النار كان ذلك

دليلًا عن أن الفرن صالح لاستقبال عجينه الخبز الخمرانه.

تجلس المرأة على كرسى عبارة عن طوبتين أو ثلاث مرصوصات فوق بعضهن فى مواجهة فتحة الفرن ثم تمسك بالدورة وتقلبها فينقلب الرغيف بيدها اليسرى وتعدله على المطرحة التى بيدها اليمنى ثم تدخل المطرحة وعليها الرغيف فى داخل بطن الفرن وتميل بالمطرحة قليلًا فينزلق الرغيف على بطن الفرن

وهكذا حتى تكمل الرَّصَّة فى الفرن ثم تغلق فتحة الفرن بِدُورَة وتتحكم فى درجة حرارتها عن طريق الفتحتان الموجودتان على جانبيها بأن تغلق إحداهما باستعمال نصف أو ربع قالب طوب أو تترك الاثنتان مفتوحتان على حسب درجة الحرارة المطلوبة كل ذلك وهى تراقب نضج العيش داخل الفرن فإذا ما أحست أن لون العجين بدأ يتغير من اللون الأبيض إلى اللون البنى الفاتح تبدأ

فى تحريك الأرغفة من مكانها بإستخدام اللوح حتى يكون النضج متساوى لكل الأرغفة.

ينضج الخبز داخل الفرن وعن طريق اللوح يتم شد الرغيف بالقرب من فتحتها وبحركة سريعة تخطفه بيدها وتضعه على سفرة أو حصير مصنوع من الحَلْف حتى يبرد ويتم تخزينه للاستعمال.

*****

البِتَّاو وهو خبز غالبية أهل البلد فى

ذاك الزمان ولا يختلف كثيرًا فى طريقة خبزه عن العيش الشمسى إلا أنه يصنع من دقيق القِيضى (الذُرة الرفيعة) بعد طحنها وغربلتها وعجنها بالماجور– لا تقطع أرغفه مثل العيش الشمسى– و تترك بالماجور حتى تتخمر وتكون الفرن جاهزة بعد إشعال النار بها والتأكد من مناسبة درجة حرارتها للخبيز .

عن طريق آلة خشبية تسمى المغرفة (تشبه المعلقة الكبيرة ومصنوعة من

الخشب) تضع ربة البيت قطعه من العجين تقطعها بيدها اليمنى وتضعها فى تجويف المغرفة ثم تدسها داخل بطن الفرن وتقلب المغرفة فتنزلق قطعة العجين فى باطن الفرن وهكذا حتى يتم نضج الخبز وإخراجه واستخدامه فى الأكل ساخنًا أو باردًا.

يتم تنظيف الفرن بين كل رَصَّة وأخرى باستخدام (الفُوَّادَة) وهى عبارة عن قطعة من جريد النخيل يُلف بأحد طرفيها خرقة قديمة ويتم غمسها

فى الماء وتمريرها على باطن الفرن حتى تمسح أى أتربه تكون عالقة بباطن الفرن.

يتم تقليب النار أسفل باطن الفرن بقطعة من جريد النخيل تسمى (مِحْسَاس)وتستخدم الفرن البلدى فى جميع المخبوزات التى تعدها ست البيت مثل الطَّرَّارة والفطير والقُرُوص والفايش وكل واحدة من نساء القرية وشطارتها فى استخدام الفرن فمنهم من يستخدمها فى طبخ بعض

البقوليات مثل الفول والعدس وذلك بعد غسله وإعداده ووضعه داخل القُسط ثم يدفن فى موقد الفرن من أسفل ويترك حتى ينضج .

ويستخدمها الأطفال الصغار فى شَي البيض أو قناديل الذره الشاميه أو شَي البطاطا.

*****

البنت :شفتى ياما هوايل الدنيا ؟!

ألأم : إيه يابتى ؟

البنت : عبيــر بت عبدالناصــر لما

خطبوها واتفقوا على المهر والشبكة

... قال إيـه البــت لازمًا أبوها يجيبلها فرن بالبوتجاز.

الأم :ومالها فرن أبونا وجدنا يابتي ؟

البنت :جلع بنات ياما..بالرغم أبوها مانقصها حاجة وجبلها شِي وشويات لكن تقولى إيه فى بنات اليومين دول!

الأم : ما يمكن جاب لاختها هدى لما إجوزت ؟

البنت :أيوه جاب لأختها وكفاها من مجاميعــه لكـــن ما جبلهـــاش فــرن

بالبتوجاز.

الأم : مسكيــن يا ولدي يا عبـدالناصر ماهيتك على كدك والبنات مصاريف جوازها كتيره وهى ما بتعضرش.

البنت : يوه يا مَّا ربنا هو المساعد وهو اللى بيدبرها.

الأم : والله معاكِ حق بابنتى هو اللى مساعد عبيده.

الليلة السابعة

الحلاق

"مال شعر راسك مِغَوِّل يا واد ".
"بكره التلات معاد الحلاق عندينا ولازم تحلق شعرك ده مَلِيتنا قمل يا أبو وش عِكِر"

بتلك الكلمات شدد حمدان على ابنه عويس بضرورة حلق شعر رأسه.

الثلاثاء ترتفع الشمس ويتمدد ظل شجره السنط من أسفلها يهل علينا الحلاق قادمًا من بلدته يركب ركوبته وما أن يصل إلى مكانه المعروف الظل تحت السُّنْطة يرمى السلام على الموجودين فى انتظاره ويرد عليه الجميع –السلام عليكم ورحمه الله وبركاته – ينزل من ركوبته وبيده يمسك التَّلِّيس - التى كان جالسًا عليها فوق حماره - المنتفخة من إحدى جوانبها ويدس يده بداخلها

مخرجا شنطة أكل عليها الدهر وشرب يفرش التَّلِّيس ويفتح الشنطة الجلدية ويخرج منها عدة الحلاقة ويرصها بجانبه وهى عبارة عن مجموعة من أمواس الحلاقة وبقايا مرآة وطبق صغير به قطعة من الصابون الغشيم وفرشاة لإعداد رغوة الصابون وماكينة الحلاقة اليدوية وجلدة مستطيلة الشكل يَسِنُّ عليها أمواس الحلاقة.

يرص تلك الأدوات بجانبه على المتبقى من التَّلِّيس المفروش بعد أن يأخذ مكانه عليه ويبدأ كبار السن ممن ينتظرونه فى التقدم إليه ويجلس أمامه الشخص الراغب فى الحلاقة وبعد أن يتربع فى جلسته يخرج من فتحة التَّلِّيس قطعة من القماش مربعة الشكل طولها متر فى متر ويضعها على صدر الشخص ويغطى بها رقبته وصدره وبعد أن ينزع الجالس للحلاقة عمامته يضع الحلاق يده

اليسرى على رأسه وممسكًا بماكينة الحلاقة بيده اليمنى ويبدأ فى تمريرها على رأسه وتقوم بقص الشعر فيتساقط أمام الجالس ويوجه بيده اليسرى الرأس يمينًا ويسارًا حتى تتم الحلاقة ويضع بعضًا من الماء داخل الطبق الموجود به قطعة الصابون ويحرك الفرشاة بيده يمينًا ويسارًا على الصابون والماء حاملًا الرغوة بالفرشاة ويضعها على ذقن الجالس أمامه ويحركها من صدغه الأيمن حتى

الأيسر مرورًا بأسفل ذقنه مع تحديد حواف الشارب.

يسن الموس ويبدأ بتمريره بحركة خفيفة على رغوة الصابون فينزل كل الشعر المار به موس الحلاقة ولا ينسى أن يدس فى يد الجالس قطعة من مرآه حتى ينظر فيها ويرى وجهه بها أثناء وبعد الحلاقة ولا ينسى أن يهذب له شاربه وهو عنوان الرجولة والمكانة الاجتماعية بين الناس.

فى تلك الأثناء تستـــمع لحــوارات

بين الحلاق والجالسين أو بين الجالسين وبعضهم البعض عن حال القرية والقرى المجاورة وربما عن حال البلد والبلاد المجاوره كسيرة حرب فرسطين - كما كان ينطقها أهل القرية – ويعرجون فى حديثهم على الأفراح التى يحضرها الحلاق كى يحلق للعريس إن كان زواج أو يقوم بطهارة الأطفال فى بيوتهم وما أن ينتهى من الحلاقة لشخص حتى يقوم آخر وهكذا ثم الشباب والأطفال بعد

ذلك ويقضى الحلاق طوال اليوم وهو يقوم بهذا العمل دون أن يكل أو يمل حتى أنه يشعل السيجارة ويضعها فى فمه وتظل على هذا الحال وهو يقوم بعمله وهو يحكى مع الجالسين وبين فترة وأخرى يشد منها نفس إلى أن تنتهى السيجارة دون أن يلمسها بيده إلا عندما يشعر بحرارتها عند شفته فيمسكها بإحدى يديه ويرميها بعيدًا عن الجالسين أو يدسها فى التراب بجانبه ليتأكد أن النار بها قد انطفأت.

تميل الشمس للغروب يلم أمواس الحلاقة ويَرُصَّها فى الشنطة هى وبقية العدة ولا ينسى الموس البرانى الذى أخذه أحد الرجال وذهب به بعيدًا وتخطى جدول المياه ودخل الزرع واختبأ به وجلس يحلق عانته.

يركب ركوبته قاصدًا بيته دون أن يتقاضى أجرًا على هذا العمل من أى شخص.

*****

تمر الأيام ويبدأ موسم حصاد القمح والفول والعدس وتبدأ الأجازة الموسمية للحلاق من أداة عمله ويتفرغ تماما لجمع (الخِيْنَة) وهى المحصول الذى يحصل عليه من المزارعين مقابل عمله وما أن يصل إلى صاحب الزرع حتى يفترش ملاية كبيرة على الأرض ثم يقوم برص قِتَت القمح أو غُمَار العدس بها حتى تمتلئ عن أخرها حسب وجاهة وملكية المزارع ويقوم بربطها كل ركن

بالمقابل له ويساعده فى ذلك اثنان أو ثلاثة من الرجال الأشداء ويقومون بحملها ووضعها فوق ظهر الحمار ويسير بها حتى يصل إلى الجرن الخاص به .

يضع كل محصول مع ما يناظره يرتفع الجرن رويدًا رويدًا حتى تصير أجران القمح والفول والعدس الخاصه بالحلاق من أكبر الأجران الموجوده فى القرية

*****

واد يا إبراهيم : إيه الزيطه والزمبليطه اللى سامعها دي ؟

إبراهيم : ياجدى الواد عويس عاملها بمناسبة افتتاح الصالون بتاعة النهارده.

الجد :صالون بتاع إيه يا ولد ؟

إبراهيم :عويس أجَّر دكان فى بيت هباش ووضبه علشان يعملة صالون حلاقة.

الجد :إيه يعنى صالون حلاقة ؟

إبراهيم :يعنى يا جدى اللى عاوز يحـلق شعر راسه ولا ياخد دقنه يروح

الدكان ويحلق هناك.

الجد :يا إبراهيم ما الحلاق بياجى لغاية عندينا .

إبراهيم :يا جدى الصالون مجهز أرضيته بالسراميك وحيطانه كلها قزاز ولا الكرسى ياجدى !

الجد : إيه الكرسى دا كمان ؟

إبراهيم :الزبون لما يروح يحلق لازمًا يقعد على الكرسى ويِجّْضِع لِوَرَا ويحلق كابوريا.

الجد :ودا برضه بالخِيْنَة يا ولدى؟

إبراهيم : خِيْنَة إيه يا جدى ! الله يرحم أيامكم دا الحلقة الواحدة بعشرة جنيه.

الجد :إيه إيه إيه ؟! عشرة إيه ؟!

إبراهيم : عشرة جنيه ...جنيه ينطح جنيه يا بوى.

الجد :نطحتك بقرة إنت واللى زيك .

إبراهيم :إنت مِسْتَكْتَر العشرة جنيه ؟! يا جدى دا الواد حامد العلاف راح حلق فى صالون نقادة دفع خمستاشر جنيه.

الجد :حامـــد العلاف دفع خمـستاشر

(١٥) جنيه فى الحلاقة ؟! الله يرحم جده اللى كان بِيْنَخَّر مناخيره بالمِتْوَت.

إبراهيم :ياجدى قلتلك بلاش الكلام ده.

الجد :على آخر الزمن حتعلمنى الكلام أقول إيه وما قولش إيه ؟! فِـز قوم من جنى مَتْفَوَّرش دمى أكتر ما هو فَايِر.

الليلة الثامنة

ألعاب مفقود

*** الاستغماية :**

من الألعاب الشائعة بين الأطفال بنين وبنات وبعد إجراء القرعة عمن سيحرص الميك وهو ذلك المكان الذى ما أن يدخل فيه الطفل أو يلمسه

لا تقع عليه أية عقوبة وغالبًا ما يكون جزء من حائط مبنى أو ما شابهه ومن وقع عليه الدور يضع يديه على عينيه وهو فى مواجهة الميك ويسرح الباقون ويختفون بين الأشجار أو فى الشوارع الجانبيه ويطلق أحدهم بصوته لفظ "طُوط" فيفتح عينيه ويبدأ فى البحث عنهم والجرى وراءهم حتى يتمكن من الإمساك بأحدهم قبل أن يلمس الميك بيده أو بأى جزء من

جسمه فإذا ما أفلح فى ذلك تبادلا المواقع وتعاد الكَرَّة من جديد.

وهذه اللعبة تنمى لدى الأطفال ملكة التفكير وحيل الهروب من المخاطر وكذلك الجرى والقفز يجعل الطفل ينمى عضلاته ويقويها كما تنمى لديه المثابرة على تحقيق الهدف وهو الوصل الى الميك دون الإمساك به.

*****

*** الحجلة :**

من الألعاب الليلية والنهارية ويقسم فيها الشباب أو الأطفال إلى فريقين متساويين فى العدد وهى تقوم فى الأصل على العدو والركض على رجل واحدة واستخدام يد واحده فى الهجوم على الخصم أو الدفاع عن النفس وذلك بأن يمسك الشخص رجله اليمنى من خلف المقعدة باليد اليسرى ويركض على الرجل اليسرى

فقط ويستخدم اليد اليمنى فى الدفاع عن نفسه.

بعد أن يتم تقسيم الفريقين إلى مجموعتين يحدد "الميك" فى أحد الجهات خلف الفريق المدافع أما الفريق المهاجم فيخصص أحد لاعبيه ويسمى "العروسة" وباقى الفريق مهمته حراسة العروسة حتى تبلغ الميك دون أن يمسك بها أحد من الفريق المهاجم واللاعب الذى يترك يده تفلت من الإمساك برجله يخرج

خارج اللعب وهكذا حتى تبلغ العروسة الميك أو يتم الإيقاع بها وهنا يتبادل الفريقان المواقع .

*****

*** ياسْرَىْ :**

هذه اللعبة يمكن أن تكون بين لاعبين أو أكثر ويستلزم لها عصا طولها حوالى نصف متر تسمى "عَكَل" وأخرى طولها حوالى عشرون سنتيمتر تسمى "تُوزَة "

يمسك أحد اللاعبين بالعَكَل والتُوزَة ويحفر حفرة طولية فى الأرض بعمق أربعة سنتيمترات وطول حوالى عشرة سنتيمترات ويضع التُوزَة بحيث تستند على جانبى الحفرة ويضع طرف العَكَل أسفل منها ويمسك بالطرف الآخر للعَكَل ويواجه بقية اللاعبين الذين يقفون أمامه على مسافة حوالى عشرة أمتار وكل منهم ممسك بعصا طويلة ثم يقذف التُوزَة عن طريق العَكَل فى

الهواء ويتلقفها اللاعبون المواجهون له فإذا ما أصابها أى منهم بعصاه يتبادل اللاعبان المراكز وإذا سقطت على الأرض دون أن يلمسها أى منهم فمن يمسكها أولا يقوم برميها فى اتجاه المكان المقذوفة منه واللاعب القاذف يبدأ فى حماية المكان بالعَكَل الممسك به، فإذا ما وقعت التُوزَة بجوار الحفرة وعلى مسافة أقل من طول العكل يغير اللاعبان موضعهما وإذا ما أفلح اللاعب فى ضرب التُوزَة

بالعَكَل إلى مسافة أبعد من ذلك تقاس المسافة بين الحفرة والتُوزَة وعدد أطوال العَكَل الصحيحة تحسب للاعب حارس الحفرة وتنتهى اللعبة عند عدد معين يُتَّفق عليه قبل اللعب.

*****

*** السيجة (السِّرجة) :**

وهى لعبة الشباب والكبار وهى تشبه إلى حد كبير لعبة الشطرنج ومنها الخمساوى والسبعـــاوى وفيها يتبارى لاعبان والباقـون للفرجة.

يجلس اللاعبان مواجهان لبعضهما وبعد أن يسوِّيا الأرض التى بينهما بأيديهما يبدآن فى بناء السرجة وهى عمل حفر براحة اليد عدد صفوفها يساوى عدد أعمدتها فإذا ما كان الصف خمس حفر تسمى خمساوى أو سبع حفر تسمى سبعاوى وهكذا.

يختار كلٌّ من اللاعبين نوع معين من كِسَر الطوب الصغيرة لاستخدامه فى اللعب، يختار مثلًا أحدهما قِطَعًا من الطوب الأحمر ويختار الآخر

قِطَعًا من الطوب النَّى (تسمى كل قطعة كلبًا)، فإذا ما كان اللعب خمساوى فإن عدد حفر السيجة تكون خمسة وعشرون حفرة ولذا يستلزم من كل لاعب إحضار اثنتى عشرة قطعة من الطوب للتَّفْلِيح بحيث يضع اللاعب الأول قطعتان من الطوب فى حفرتين يختارهما من حفر السيجة ثم يقوم الآخر بوضع قطعتين فى حفرتين أخريين وهكذا حتى تكتمل كل الحفر ما عدا حفرة واحدة فى المنتصف.

يبدأ اللعب لآخر لاعب فَلَّح بالتبادل مع اللاعب الآخر ويحاول أن يضع كلب الخصم بين كلبين من كلابه فإذا ما استطاع ذلك أخرج ذلك الكلب خارج اللعب وهكذا حتى لايصبح للاعب الآخر أكثر من كلبين فيكون الدور قد انتهى أو ينسحب اللاعب من الدور ويبدأ التفليح من جديد.

*****

*** فوازير :**

***طويل طويل وما لهوش دَرَى (ظل) ؟**

ههه ههه عارفها : جسر السِّيَّالة.

***مركب غَوَازِى فى البحر تِظَاظِى ؟**

الزَّرَازِير (العصافير).

***قسط مدمس على الحيطان يتنمَّس ؟**

الحرامى .

***عنزتنا الحَوَّى فى الدروب تتلوى ؟**

القمر .

***مركب لِيف فالبحر تقول يا لطيف؟**

المرأة الحامل .

***شكلها زى اسمها ؟**

البيضة.

***طويل طويل وملفوف بالحرير ؟**

قنديل البر.

***كَرَاكِب فوق كراكب وفوقيها الشطة الحراقة ؟**

العقرب .

الليلة التاسعة

١- النصاب

خلينى يا جدى أحكيلك حكاية النصاب وعمايله فى بلدنا.

هكذا قال (نَصَّاري) لجده.

عارف لو مكانتش حكاية كويسة مش حقعَّدك معانا تانى.

والله حكاية حتعجبك ياجدى.

قول ياولدي وسمعني .

زار القرية فى يوم من الأيام رجل غريب يدعى التقوى والصلاح.

أكرم أهل القرية وفادته فى بادئ الأمر بدأ وكأنه عابر سبيل إلا أنه يرتدى ملابس قيمة ويعفى لحيته ويرتدى طاقيه وعمامه بيضاء ونزل عند رجل من أهل القرية ومكث عنده ثلاثة أيام ثم غادر القرية إلى حال سبيله.

واستمرت الحياة كعادتها فى القرية وسرعان ما انشغل الناس بأحوال معيشتهم ونسوا ذلك الزائر الغريب الذى زارهم وتركهم بدون أن يدروا من أمره شيئًا.

مضت أكثر من ثلاثة شهور وإذا بنفس الزائر يحل على القرية من جديد وينزل ضيفًا عند نفس الرجل من أهل القرية وبينما هو يتجول فى القرية قاصدًا مسجدها وهو عبارة عن مساحة صغيرة من الأرض مبنى عليها

مسجد بالطوب اللبن وفرشت أرضيته بحُصْر الحَلْف والعَدَبَان ويفتقر حتى إلى المنبر الذى يجلس عليه الخطيب ليخطب لصلاة الجمعة بالناس.

بعد انتهاء الصلاة فى المسجد يفجر الغريب مفاجئة أذهلت أهل القرية وهى أنه يريد أن يجدد لهم هذا المسجد من ماله الخاص ويبنيه بالخرسانة المسلحة وبعد حساب التكاليف تبرع هذا الشخص بمبلغ خمسين ألف جنيه لإعادة بناء

المسجد من جديد وتجهيزه بالفرش وبناء مأذنة له .

هلَّل أهل القرية له ووصفوه بالشيخ الغريب واستلم أحد كبار القرية مبلغ الخمسين ألف جنيه وبدأ العمل فى المسجد وتركهم هذا الضيف إلى حال سبيله مع دعوات أهل القرية له بالصلاح والفلاح فى دنياه وآخرته وأصبحت سيرته العطره على كل لسان من أهل القرية والقرى المجاورة لها .

مرت الأيام سراعًا وها هو المسجد قد تم تجديده وفرشه وافتتح للصلاة من جديد فإذا بالشيخ الغريب ينزل القرية للمرة الثالثة وعند نفس الرجل الذى استضافه فى المرتين السابقتين وبعد السؤال عن القرية وأهلها وأخبار المسجد الذى ذهب لزيارته وهناك التقى بأهل القرية وبعد الاستقبال والترحاب صلى معهم صلاة العشاء.

وفى اليــوم الثانى من الزيــارة طلب

من أهل القرية الانتظار معه بعد صلاة الظهر وبدأ يتحدث إليهم وأبلغهم أنه يعرف صاحب شركة سفريات تعمل فى المملكه العربية السعودية والكويت وإنه تلقى عددا من التأشيرات لاستجلاب عمالة لتلك الدول وأنه فضل أن يأخذ عددًا من أبناء القرية والقرى المجاورة لتلك التأشيرات حتى يجدوا فرصة عمل بالخارج.

المطلوب من كل واحد يريد السفر

جواز السفر ومبلغ خمسة الآف جنيه وانتشر الخبر بين أهل القرية والقرى المجاورة كانتشار النار فى الهشيم وتجمع عددا لا بأس به من أهل القرية منهم من باع أرضًا أو حليًا لزوجته أو أمه لكى يدبر المبلغ الذى سيدفعه للشيخ الغريب حتى يحصل على التأشيره المطلوبة.

اكتمل العدد المطلوب تماما وهو مئة فرد حتى أنه وضع جوازات سفرهم فى شنطة سفر مستقلة ورحل

عن القرية على أن يعود إليهم بالتأشيرات بعد أسبوعين مؤكدًا على كل واحد منهم تدبير أجر تذكرة الطائرة فى خلال الأسبوعين حتى لا تضيع عليه فرصة السفر.

مر يومان أو ثلاثة على رحيل الشيخ الغريب وإذا بواحد من أبناء القرية ذاهب إلى حقله المجاور للسكه الحديد كى يروى زرعة القِيضِى (الذرة الرفيعة) وأثناء مروره بين أعواد الذرة فى حقله فوجئ

بشنطة ملقاة على الأرض صرخ فى أول الأمر ثم أخذها ولفها فى جلبابه وذهب إلى بيته ممنيًا نفسه بالكنز الذى وجده بأن يشترى لنفسه فدانين أرض وبقرة وجاموسة بالإضافة إلى البقرة التى يملكها ولم ينس أن يبنى بيته بالخرسانة المسلحة وعندما وصل إلى البيت طلب من أهله غلق الباب وعدم فتحه لأى شخص وجلس فى منتصف البيت هو وأمه وزوجته وولده الصغير وفتح الجلباب ونظر

الجميع إلى الشنطة وفى نفس واحد "منين جبت الشنطه دى " فأخبرهم بقصتها وبدأ فى فتح الشنطة فإذ بداخلها جوازات السفر الخاصة بأصحابها وبدأ فى قراءة الأسماء فعرف بعضًا منها ثم حملها هو وابنه وذهبا بها إلى المسجد وهناك عرف الجميع أن الشيخ الغريب ماهو إلا نصاب كبير ومن يومها لم ينزل ذاك الشخص إلى القرية حتى الآن.

*****

٢- أبو شوال

سأل (عواد) جده بعد أن اسْتَمَخّ بقصة ابن عمته (نصَّاري):

مفيش حاجة حصلت زي كده على أيامكم ياجدي ؟

فيه ياولدي أغرب من كده :

زمان يا ولادي زار القرية اللى جنبينا واحد شيخ.

يا جدي ليه كل النصابين مشايخ ؟

هكذا قالت (ريم) لجدها ورد عليها.

لا يا بنيتي النصابين دائمًا يتمسحون فى الدين حتى يكسبو ود وعطف الناس بسرعة لأن الدين له تأثير سريع على الناس وهم يستغلون ذلك لتحقيق أغراضهم وهم أبعد ما يكون عن المشيخة ولكنهم مستشيخون نعوذ بالله منهم.

وأدعى هذا المدعي أنه يستطيع فك السحر وعلاج المربوط وشفاء

الأمراض ولهذه الموضوعات وقع السحر بخاصة على النساء . وكل من تريد الشفاء من علة عليها إحضار كِرْدَانها أو غوايشها وكل ما هو ذهب فى بيتها حتى يستطيع الخادم – كما يدعى المدعى –أن يفك السحر أو يشفى المريض.

وفى هذا المجتمع ومع قلة الوعي وانتشار الجهل انتشر الخبر انتشار النار فى الهشيم وبخاصة فى أوساط النساء ومما أعطاهن الثقة أن هذا

المدعى نزل ببيت أحد الوجهاء فى القرية فسارع بعضهن بالذهاب إليه بمعرفة أزواجهن والبعض الآخر من وراء أزواجهن وكان يأخذ المصوغات الذهبية منهن ويضعها فى شوال بذرة القطن – من هنا سمي أبوشوال – ويعدهن بحل مشكلاتهن فى ظرف يومين أو ثلاثة ولعبت الصدفة معه بحل بعض المشكلات الصغيرة مما أعطاه مصداقية بين أهل القرى بسببها جمع كمية كبيرة من المشغولات

الذهبية داخل الشوال وفى غفلة من الأهالى بعد إيهامهم احتياجه بخور لزوم الشغل وهذا البخور من عند العطار والعطار فى قرية البَلَّاص ولابد من إصطحاب الشوال معه لأن الخادم أمره بذلك وكذلك اصطحاب اثنين من أهل القرية معه ضمانًا لعودته وهناك استطاع الإفلات بحيلة من المرافقين واختفى بغير رجعة إلى الآن وكانت كارثة مابعدها خاصة لبعض النساء اللاتى لم تخبر زوجها

بفعلتها وصل بعضها للطلاق وكان بعضها تسوية حسابات مع بعض الناس باتهام زوجاتهم بأنها أعطت حليها لأبوشوال دون موافقة زوجها مما جعل أحدهم يلبس حماره كردان زوجته ويلف به البلد حتى يعلم الناس كذب من ادعى على زوجته تلك الفعلة.

الليلة العاشرة

السكن

"مساكن القري واطية وشوارعها ضيقة".

معظم بيوت القرية من حوائط الجالوس الذى يتكون من التراب المخلوط بتبن القمح وروث المواشى

ويَـنِـيـخ فى الماء لمدة يومين أو ثلاثة حتى يتخمر ويُمَلَّك جيدًا ويُقطَّع إلى قطع صغيرة تسمى كل منها "جَالُوس" وترص الجواليس بجوار بعضها مكونة "مِدْمَاك" وبعد يوم يوضع عليه مدماك آخر وهكذا حتى يعلو البناء ويقارب مترين أو ثلاث ثم يُـزَرَّب بقطع من جريد النخل يتم غمسها داخل آخر مدماك لتغوص به مسافة نصف شبر ويظهر الجزء الباقى من الزَّرْب بارتفاع نصف متر أعلى آخر

مدماك ثم يسقف بِسَبَايت البوص بعد ذلك يكون معدًا للسكن بداخله ولا حاجة هنا إلى الشبابيك للإضاءة فالسقف كفيل بنفاذ أشعة الشمس إلى داخل السكن وكذلك لا حاجة إلى المطبخ فالكانون يقوم بتلك المهمة وأيضا لا حاجة إلى دورات المياه فالكروم وما أكثرها يقضى بها الناس حاجتهم.

فقط المطلوب داخل السكن مكان للفرن البلدى من أجل الخبيز

وآخر للكانون وثالث للزير ومن الأهميه مكان للمواشى ففى البيئة الزراعية دائمًا ما يكون الفلاح قريبًا من ماشيته حتى فى أثناء نومه ربما لأُلفة بينه وبينها أو ربما لأنها مصدر رزق له حيث يرتزق من ألبانها ووليدها أو ربما يعتبرها عزوة له حيث إنها من مظاهر الثراء فى تلك المجتمعات شبه البدائية فكلما كثرت مواشى المُزَارع دل ذلك على غناه

وارتفاع مكانته بين الناس أو هكذا كان هو يعتقد .

الشوارع ضيقه لا تكاد تساعد حمارين محملين بالحشيش "البرسيم" بالمرور فى إتجاهين متعاكسين ولا سيما إذا ما بنى شخص ديوان ملاصق لحائط بيته حتى يجلس عليه فى الشارع أو تبرع أحدهم ببناء حمالة لزير يملأ بالماء لعابرى السبيل.

بعض البيوت التى تعد على أصابع اليد الواحده داخل القرية هى المبنية

بالطوب اللبن لدورين فقط وتحتوى على منده للضيوف وكذلك سلم للصعود والهبوط به إلى الطابق الثانى الذى يحتوى على غرفتين أو ثلاثة كل منهم وحدة مستقلة تُتَّخذ للسكن منفردة عن باقى الغرف ويربطهم ببعض فسحة تسمى "مَفْرَش " تفتح عليه جميع الغرف وهو غالبًا غير مسقوف ويؤدى إلى سلم الصعود والهبوط بالبيت.

هذا النوع من البيوت مؤسس إلى حد

ما بالطوب ومنتظم البناء وبه فتحات للتهوية وشبابيك وأبواب وسقفه عبارة عن شرائح من جذوع النخيل ويحتوى سقف الغرفة الواحدة من خمس إلى سبع شرائح تسمى "فِلَاق" جمع "فِلْق" يُرَص عليها بطريقة معاكسة جريد النخيل بجوار بعضه البعض ثم تدك من أعلى بالطين حتى لا يجد الضوء منفذًا له للتسلل الى داخل الغرف وهكذا يبنى الدور الثانى

أعلى من الأول ويكتفى بدورين فقط فى هذه المبانى إلا ما ندر .

هذه المساكن يسكنها فى الغالب – فى ذاك الزمان – عِلْيَة القوم من العُمد والمشايخ وأصحاب الأرض الزراعة أو من عنده أموال ويستطيع أن يتحمل نفقات هذا البناء من ثمن للطوب وأجر للبناء أما أنفار المساعدة فى البناء فهم غالبًا ما يكونون بدون أجر ويكتفى الواحد منهم بوجبة الغذاء وشرب أكواب

الشاى طوال فترة العمل التى تستغرق فى العادة لمثل تلك المبانى ما يقارب من شهر حتى يكون البيت جاهزًا للسكن .

وباب الزِّمَام شغل النجار (غطاس) أو(نظير) ومن خشب السُّنْط أو الأَثْل يتم تصنيع الباب وعمل الغَلَق والمفتاح .

****

سافر الشباب ومنهم عويس أبوحمدان خارج القرية إلى المدن

القريبة أو إلى القاهرة باستخدام مراكب النيل أو باستخدام قطار الفحم وبعضهم سافر للعمل فى دول خارجية باستخدام السيارات أو البواخر مثل ليبيا والسعودية وربما الكويت ورأى بأم عينيه كيف تعيش تلك البلاد ونمط المبانى بها الذى يختلف كليًا عن البيت الذى يسكنه فى القرية وما إن جرت الأموال فى أيدى الشباب حتى فكر أول ما فكر فى بناء بيت مثـــل البيـــوت التى رآها

خارج القرية.

بيت بالخرسانة المسلحة يقسم إلى شقق كل واحدة من غرفتين أو أكثر بالإضافة إلى صالة كبيرة ومطبخ وحمام حتى وإن استنفذ كل ما ادخر من أموال – فى سنوات الغربة – فى بناء ذلك البيت.

أصحاب العز والجاه فى القرية أصابتهم الغيرة من البيوت الجديدة التى بناها الشباب من خبرتهم فى الدول الأخرى وشرعوا هم فى بناء

بيوت جديدة على أنقاض القديمة وربما فى مكان آخر وتركوا البيوت القديمه على حالها .

اتسعت الشوارع وعرف الناس الكهرباء والمياه فى داخل البيوت وربما اشترى أحدهم جهاز تلفزيون جديد ملون عكس القديم الذى كان يستعمل البطاريات الجافه فى تشغيله.

*****

فى السفر للمرة الثانية وبعد ثلاث سنوات فى الغربة استطاع أن يشترى

سيارة بيجو ونزل بها من الخارج وأفرجت عنها هيئة الجمارك بعد دفع مبلغ ألفى جنيه جمارك وسارت السيارة فى شوارع القرية وكانت أول سيارة يملكها واحد من القرية وتسير فى شوارعها بعد سيارة طبيب الوحدة الأسيوطى التى كان يستخدمها فى التنقل من وإلى بيوت المرضى كانت من النوع القديم الذى يدار بِمَنَافِلَّة.

الليلة الحادية عشر

الزراعة

غطى فيضان النيل معظم الرقعة الزراعية بمياهه الغزيرة والتى على إثرها أكل أهل البلدة أطنان من الأسماك التى حملها الفيضان عبر المسافات الطويلة التى سارتها المياه من أدغال أفريقيا حتى انتهى بها المطاف فى الأرض الزراعية للقرية

والتى أغرقتها عن آخرها وكذلك بعض البيوت مما دعى الأهالى إلى عمل سواتر ترابية تحيط بكل مجموعة من البيوت حتى لا تداهمها المياه وتؤدى لسقوطها لأنها أصلًا مبنية بالطين أو بالطوب اللبن وما أن يمتلئ البَرْبَخ حتى ترى بعض أهالى القرية يمتهن صيد الأسماك إلى أن تجف مياه الفيضان ويعود إلى سابق عملة بالزراعة .

*****

يرخى الليل سدوله والظلام الدامس يغلف الشوارع والبيوت ولا منير إلا ضوء القمر فى جزء من الشهر العربي وباقى الشهر يكون الظلام هو سيد الموقف ولا أنيس إلا صوت الضفادع ولا صوت يعلو فوق صوت تدفق المياه الغزيرة أسفل بَرْبَخ الزُّمَّارة والتى يسمع دويها من مسافات بعيدة وبعض الأهالى ينصب الشِّبَاك بالقرب منه ويصطادوا الأسماك بكميات كبيرة ويكون معظم طعامهم منها فى تلك

الفترة سواء أكانت مقلية أو مشوية أو مملحة.

يظل الحال هكذا قرابة ثلاثة أو أربعة أشهر من كل عام بعدها ينزل منسوب المياه فى النيل وينحسر الفيضان ويبدأ المزارعون فى زراعة أرضهم.

منهم من يُلَوِّق البرسيم أو يزرع العدس بعد الفيضان لأنه من الزراعات التى لاتحتاج لمياه طوال فترة زراعته حتى قَلْعِه من الأرض

وإذا ما شربت أرضه ولو بطريق الخطأ فسرعان ما يفسد محصوله ويُعَصْعِص.

يسأل الحفيد جده :

حنزرع إية غيط أبو غُورت يا جدى ؟

ويجيب الجد :

اسأل الجيران فى الغيط إن لوَّقُوا برسيم أو شعير نُلَوِّق زييهم.

وغيط أبو شُوَي ؟

السنة دى حنزرعه عدس علشان جيرانا كلهم زارعين عدس.

وتقاوى عامْنَوَّل حَتْكَفِّينا ياجدي ؟

لو ما كفت نستلف رُفْطَاو من زِرِّيعِة بيت القاضى ونردهولهم بعد القليع .

*****

بعد أسبوع من هذا الحوار بدأت الأرض تتحمل المشى عليها وهذه من علامات بدء حرثها مما جعل كل مزارع يحمل المحرات البقَّاري إلى أرضه ويبدأ فى حرثها ورمى البذور بها حتى تنبت البذور فى المعاد ولاتتأخر فيقل المحصول.

المحرات البلدى (البقاري) هو عبارة عن قطعة من الخشب طولها يقارب ثلاثة أمتار(تسمى القَصَبَة) يلامس أحد طرفيها الأرض ومثبت به قطعة حديدية مثلثة الشكل رأسه الأمامية تميل ناحية الأرض حتى تغوص فيها عندما تجرة الثيران أو الأبقار ومن أعلاها مثبت بقطعة خشبية طولها حوالى متر يمسك بها الفلاح أثناء عملية الحرث ويوجة بها المحراث يمينًا أو شمالًا كما يتحكم

فى غوص القطعة الحديدية فى الأرض والطرف الآخر للقصبة يستند ويربط بقطعة خشبية مستعرضة (تسمى كَرَب) ينتهى كلٌ من طرفيها بحِلْس مصنوع من لِيف النخيل يوضع على عنق البعير ويربط حول رقبته ويتحرك البَهِيمَان فيشدَّان المحراث وتغوص قطعة الحديد فى الأرض فَتَفِجُّها وهكذا فى فِجاج طولية بطول الغيط ذهابًا وإيابًا حتى ينتهى من حرث كامـــل الغيط مستغـــرقًا وقـتًا



الـمحراث البلدى

يتناسب مع مساحته.

بعد رش البذور وحرث الأرض ودَحْدَحَتِها بالدِّحْدَاحَة تتم عملية الإنبات - بإذن الله تعالى- وبعد أسبوعين أو ثلاثة تتطلب سقاية الزرع - إن لم يكن المزروع عدس – ويتم ذلك باستخدام الساقية أو العُود على حسب المساحة المزروعة وقربها أو بعدها عن مصدر المياه.

الساقية هى ذاك البئر المملوء بالماء سواء كانت جوفية أو من

مصدر مثل النيل أوالترعة وينصب فوق فتحة البئر دائرتان من الخشب إحداهما أفقية والأخرى رأسية يتداخلان فيما بينهما عن طريق زوائد على محيطهما من الخارج تسمى تروس وعندما تلف الدائرة الأفقية بواسطة بقرة أوجاموسة أوجمل تلف تبعًا لها الدائرة الرأسية المربوط بها حبل يتدلى داخل البئر مربوط به عدد من القَوَادِيس التى تغوص فى ماء البئر وتمتلئ وتُرفع بواسطة الحبل ويُفرَّغ

الماء منها عند فُوَّهة البئر فى حوض من الخشب ومنها الى الجدول المؤدى إلى الغيط.

هكذا تدار الساقية وكل فترة زمنية محددة يعرفها المزارع تسمى(عَلْقَة) يتم بعدها تغيير الحيوان الذى يدير الساقية ويتم بعد جنى المحصول توزيعه على المشاركين فى إدارة الساقية وأصحابها كل حسب مساهمته فى تشغيلها ورى الأرض.

والنجـار المسؤول عـن صيـانتها

وإصلاح أى عطب بها له جزء من المدخول يسمى (خِيْنَه).

العود من الآلآت التى تستخدم لرى المساحات الصغيرة ويعتمد على قرب مصدر الماء من سطح الأرض وهو عبارة عن قَائِمَين من الخشب ينصبان بجوار بعضها على حافة الترعة تفصلهما مسافة لا تزيد عن متر ونصف تقريبًا تثـبَّت عليهما من أعلى عارضة يرتبط كلٌ من طرفيها بأحد القائمين فى منتصفها تعلق قطعة من

الخشب أطول من القائم نصفها أعلى من العارضة والآخر أسفل منها وفى نهاية طرفها السفلى تثقَّل بثقل من الطين أما من طرفها العلوى تُربط بخشبة رفيعة تسمى جَبَّاد من طرفه الآخر يرتبط بدلو مصنوع من الجلد.

يقف المزارع بجوار أحد القائمين ومصدر الماء ويمسك بالجَبَّاد ويضغط إلى أسفل حتى يمتلئ الدلو بالماء ويرفع الجباد لأعلى ويساعده الثُّقل الموجود أسفل العود على رفع



العود (الشادوف)

الدلو بسهولة ويتم تفريغة بالحوض المؤدى للجدول ومنها إلى الغيط والملاحظ أن ذاك العمل يعتمد على القوة البدنية للمزارع.

*****

جلس إثنان من المزارعين وهمس أحداهما فى أذن الآخر :

بيقولو إن الصرَّاف جاى بكره.

متعرفش جاى ليه يا أبوعمو ؟

يعنى حيكون جاى يطَّلَّع فى جمالك.

جاى علشان الضريبة زى كل سنة.

ياوقعة مطينة بالطين ومنين حنجيب فلوس نسدد بيها الهِبَاب ده ؟

ما نلاقيش حد يسلفنا قرشين نسد بيهـــم خَشْم الصَــرَّاف لغايــة ما ربنـا يفرجها؟

والله لو لفيت البلد بيت بيت ماتلاقى.

طب وبعدين يا ود عمى ؟

آدى الله وآدى حكمته. نعمل زى كل سنة ؟

قصدك إيه ؟

لا قصدى ولا قصدك يعنى أنت مش

عارف عملنا إيه عامنول ؟

يعنى نتنازل عن جزء من الطين للصراف مقابل الضريبة ؟ هو فيه قول تانى غير كده ؟

يا غُلْبى ده ولدى شاكر لما يكبر مش حيلاقى مسكن لو استمرينا على دا الحال.

أُمَّال يعنى هو الصرَّاف بتاع قنا لَمْ أرضه دى اللى تطلع خمسين فدان أو أكثر مش منى ومنك ومن أهل البلد كِلَّاتْهُم.

الليلة الثانية عشر

التعليم

"التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر"

حكمة سمعتها كثيرًا من رجال التعليم عن معنى التعليم فى السن الصغيرة ومقدرة الطفــل علــى تلقــى واختزال المعلومات بطريقة أسرع من الكبار.

الكُتَّاب هو المكان المعد لتعليم الصبية مبادئ القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم وربما حفظ القرآن الكريم كله.

عدد قليل من أطفال القرية يتم إرسالهم للكُتَّاب لتلقى علوم القراءة والكتابة ومعظمهم يعمل مع والديه فى زراعة الأرض وفلاحتها.

حجرة صغيرة وأحيانًا حجرتين يجلس عند مدخل الباب الشيخ على سرير مصنوع من جريد النخيل

وتُرَص بجانبه الألواح التى يكتب عليها الصغار حروف الهجاء أو بعض آيات الكتاب المبين بهدف إتقان كتابتها وحفظها.

وفى بداية الصباح يتوافد الصغار على الكُتَّاب ويبدؤوا بمسح اللوح للجانب المراد الكتابة علية بعد تسميع المدون عليه من آيات القرآن ويجلس الصغار أمام الشيخ على الأرض ليملى عليهم مايجب أن يكتبوا ويحفظوا من كتاب الله كل

حسب السورة التى أتقن ماقبلها وما أن ينتهى من تملية الآيات القرآنية وبعدها يبدأ فى الكتابة والتملية لطلاب الحروف الهجائية من (ألف باء – با – الهمزة والفتحة – حركات التنوين –..........)

وبعدها يبدأ الصبية فى حفظ ما دونوه فى ألواحهم بأن يمسك كلٌ منهم باللوح ووجهه للحائط ويستمر على هذا الحال حتى يتقن حفظ

ماكتب إتقانًا جيدًا كلٌ حسب قدرته على الحفظ .

يُؤَذَّن لصلاة الظهر فى المسجد الملاصق للكُتَّاب عن طريق أحد الشبان من ذوى الصوت الحسن ويؤم الشيخ المصلين ويعود بعدها لعمله وتسميع ما حفظ الشبان والأطفال ومن لم يتقن الحفظ يعط فرصة ثانية وإلا أعاد الحفظ فى اليوم التالى بعدها نقف طابور الانصراف ننشد الأناشيد الدينية ثم نخرج كلًا إلى بيته

ويستمر الحال على هذا الوضع حتى يختم الشاب حفظ القرآن أو يكتفى بحفظ بعض الأجزاء وبعدها يخرج من الكتاب وقليل جدًا منهم من التحق بالأزهر الشريف وأكمل دراسته فيه فى مقابل هذا يحصل شيخ الكُتَّاب على الشهرية وهى مبلغ خمسة قروش شهريًا عن كل طفل أو شاب يدرس ب الكُتَّاب ولا يُنْسَى فى الأعياد والمناسبات الدينية من رغيف

خبز أو بِتَّاوَة أو بيضة كل حسب مقدرة أهله ووجاهتهم الاجتماعية.

هذا هو حال التعليم فى القرية فى النصف الأول من القرن الماضى مجرد تعلم القراءة والكتابة وفَك الخط كما يقولون أما التعليم الإلزامى فى صورته المعاصرة لم تعرفه القرية إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين حينما تبرع شيخ القرية بأحد البيوت الخاصة به ليكون مدرسة

يتعلم فيها أبناء البلد وجيرانهم تعليما إلزاميًا منظمًا بمفهومه العصرى.

بعدما ختمت جزء (عم) بالكُتَّاب طُلِبت للمدرسة الابتدائية وهناك رأيت وتعلمت بطريقة مختلفة فهنا الفصل والتختة والسبورة والمدرس والناظر كلها أشياء مفتقدة بالكُتَّاب - الذى يعتمد كليًا على شخص واحد وهو الشيخ وربما ساعده شاب من طلبة العلم فى عمله- رأيت الكِتَاب والكراسة وعرفت القلم الرصاص

والقلم الحبر وتعلمت الحساب ومبادئ العد وعرفت النظام متمثلًا فى طابور الصباح أمام المدرسة وتعلمت به مبادئ الوطنية من تحية العلم وترديد النشيد الوطنى (بلادى بلادى لك حبى وفؤادى) عرفت فيها الجمهورية وعرفت الرئيس جمال عبدالناصر الذى كان يوم وفاته حدادًا فى القرية كلها لدرجة ظنى أنه واحد من أبناء القرية لما لمسته فى ذاك

اليوم من مأتم وجنازة أمام مسجد القرية.

ضاقت المدرسة على الدارسين وبعد حوالى عشرين سنة من الدراسة فيها وظهور تصدعات بها تبرع شيخ البلدة (الشيخ متولي) ببناء مدرسة جديدة ولم يكتمل بنائها بحياته وتكفل بها أبناؤه من بعده وبدأت الدراسة بها فى بداية السبعينات من القرن العشرين وهى من حيث المساحة والتنظيم أكبر من سابقتها

حيث الحجرات الدراسية أوسع وأنظف ومنافذها على الشارع وعددها أكثر وأرضيتها مغطاة بالبلاط وبها فناء كبير للطابور بوسطه سارية للعلم واستمرت الدراسة بتلك المدرسة حتى تكفلت الحكومة ببناء مدرستين إحداها ابتدائية والأخرى إعدادية فى بداية القرن الحادى والعشرين.

حصلت على الشهادة الابتدائية فى عام خمسة وسبعين وتسع مئة وألف والتحقت بمدرسة طوخ

الإعدادية وبعدها مدرسة قوص الثانوية ثم كلية التربية بقنا (جامعة اسيوط فى ذلك الوقت) وتخرجت منها عام خمسة وثمانين وتسع مئة وألف وعينت مدرسًا بمدرسة إعدادية ثم ثانوية وها أنا ذا أعمل مديرًا لمدرسة ثانوية بعد ثلاثين عامًا من تخرجى لأجد فى ذات المساحة الجغرافية التى كانت بالكاد تغذى مدرسة إعدادية واحدة، بها الآن ثمانى مدارس إعدادية ومدرستان

ثانويتان وأربعة معاهد أزهرية، نَعَم لقد تطور التعليم وكثر عدد طلابه وبالمقابل كثرت المدارس من حيث العدد والعدة وأصبح عدد البنات فى المدرسة أكثر من عدد الأولاد بعد إتاحة الفرصة لهن فى التعليم النظامى.

الليلة الثالثة عشر
موسم الهجرة

ما أن تهب نسمات فصل الصيف فى بداية شهر مارس أو ابريل من كل عام إلا وتبدأ معها هجرة بعض الشباب والكبار إلى بحرى وبحرى هنا تعنى القاهرة وما حولها أو تعنى

مصـر كمـا يعـرف معظـم أهـل القريـة وذلـك بهـدف البعـد عـن الحـر الشـديد – فـى الشـهور التـى تلـي شـهر أبريـل – والبحـث عـن مصـدر رزق أوفـر مـن تلـك المصـادر المتـوفرة فـى الريـف وربمـا فـى الصـعيد كلـه ويتجلـى هـذا المصدر بأعظم صورة فى صناعة وبيع البُوظَـة ذاك المشـروب الصـيفى الـذى يصـنع مـن الـدقيق بعـد نخلـه وتعصـيده بالمـاء السـاخن ويتـرك حتـى يبـرد وفـى المساء يتم فرك العجين بواسطة المـاء

حتى تصير سائلًا ويضاف إليها الخميرة وتترك للتخمير ثم تصفى بمصفاة ويضاف إليها السكر أو العسل الأسود بغرض التحلية وتعبأ فى صفائح أو جراكن وتباع وهى مشروب منعش إذا ما شرب طازجًا.

عدد غير قليل من أهل القرية يمتهن هذه المهنة - وبخاصة من ليست له أراض زراعية يزرعها أو أملاك يديرها - فى فصل الصيف حيث الإقبال على المشروبات أكثر

من فصل الشتاء ولأنها تدر عائدًا يوميًا وبحساب المكسب والخسارة يتم توفير مبلغ من عائد هذا العمل يعود به الشخص فى نهاية الموسم فى بداية شهر اكتوبر أو نوفمبر محملًا ببعض الملابس والهدايا لأولاده وإخوته وأبويه وربما بعض جيرانه ومحملًا قبل هذا وذاك بمصاريف فصل الشتاء.

أما أصحاب الأملاك وكبار المزارعين فلا يلجأن الى هذه المهنة

إلا من باب الغيرة والحسد مما يرونه من الهدايا والأموال فى أيدى العائدين من السفر.

فى منتصف الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضى سافر الكثير من أهل القرية إلى دولة ليبيا بعد ظهور خام النفط بها بكثرة وحاجة الدولة لأيدى عاملة لزوم مشروعات التنمية وعاد بعضهم بعد عام أو عامين من الغربة محملًا بالتسويقة وهى المشتريات له ولأسرته

ولـم ينس شـراء ذاك الجهـاز العجيـب وأعنـى جهـاز التسـجيل أعجوبـة زمانـه وكيــف أنــه يقــوم بتســجيل أحاديــث النـاس ثـم يسـتمعون إليهـا بعـد ذلـك هــذه قمــة التكنولوجيــا وأعجوبــة الأعاجيـب فـى زمانـه ونسـجت حولـه الخيـالات وكيـف أنـه يتصـنت علـى ست البيت فى غياب زوجهـا وعليهـا أن تراعـى ذلك ولا تفتح فمها بكلمة بجـواره حتـى لا يفشـى سـرها لزوجهـا عند عودته للبيت.

فى السادس من أكتوبر عام ثلاثة وسبعين وتسع مائة وألف تنشب الحرب بين مصر وإسرائيل وعلى خلاف سياسي بين الرئيس المصرى أنور السادات والرئيس الليبي معمر القذافي تم قطع العلاقات بين الدولتين وانعكس ذلك على المصريين العاملين بليبيا ومنهم بالطبع أبناء القرية تم طردهم من أعمالهم وترحيلهم وعادوا إلى البلد بخفى حنين وبعضهم لم يحتكم على أجرة

المواصلات التى أقلَّته من ليبيا حتى القرية مما أضطره للاستدانة وسددها عندما عاد .

لم تكن ليبيا وحدها هى التى ظهر بها النفط بل كثير من دول الخليج العربى مثل الكويت والسعودية والإمارات وقطر وتضاعفت أسعاره بعد استخدامه كسلاح فى حرب أكتوبر وذلك بمنعه من التصدير للولايات المتحدة الأمريكية والدول

المساندة لإسرائيل فى حربها ضد مصر والعرب.

غير أهل القرية وجهتهم من السفر إلى ليبيا غربًا لدول الخليج شرقًا فسافر جُلُّهم لدولة الكويت وعدد لابأس به للسعودية وقليل للإمارات وقطر.

عاشوا فى الغربة لفترات طويلة ومازالوا يعملون ويدخرون الباقى من رواتبهم بعد خصم مصاريف المعيشة من مأكل ومشرب ومسكن

ويستثمرون الباقى فى نهضة القرية متمثلًا فى بناء بيوتهم أو شراء عقارات بالمدن الكبيرة مثل القاهرة والأسكندرية والأقصر وغيرها أو الاستثمار فى تعليم أبنائهم تعليمًا عاليًا وربما فى مدارس وجامعات خاصة أو فى تزويج الأبناء والبنات ومازال بعضهم الى الآن يعتمد كليًا على العمل بتلك الدول عبر جيل أو جيلين حتى أن الطفل عندما يولد فى القرية حاليًا يحسب حساب عمله

بالخليج عندما يكبر ويتخرج من الجامعة تكون الفيزا فى انتظاره بالرغم من ارتفاع ثمنها ولكن مع قلة فرص العمل والوظائف الحكومية هنا يلجأ معظم الشباب الى السفر حيث فرص العمل أكثر والعائد أكبر بكثير.

حتى الآن ما من بيت بالقرية إلا وواحد أو أكثر من أهله يعمل بالخارج ويرسل مدخراته إلى أهله فى القرية التى تعتمد كليًا فى اقتصادها من تلك التحويلات إضافة لبعض

رواتب أبنائها الموظفين بها أوبعض المزارعين من ذوى الأملاك ولذا تجدها فى أحلك الظروف لا تستشعر الأزمات الاقتصادية والمادية للدولة لأن عائدها غالبًا ما يأتى من الخليج وظهر ذلك جليًا فى فترة مابين غزو الكويت وتحريرها وعودة أبناء القرية بدأت المشاكل المادية تطفو على السطح وبدت واضحة على بعضهم فوجدنا منهم من باع حُلى زوجته أو بعض أثاث بيته لينفق على أسرته

طوال فترة التوتر هناك التى تجاوزت العام وكذلك أثناء ثورة ٢٥ يناير والأزمات التى سببتها فى طول البلاد وعرضها وتوقف معظم الأعمال والنشاطات إلا أن القرية ظلت ثابتة ولم تهتز اقتصاديًا ولم تظهر على ساكنيها أى علامة من علامات ضيق ذات اليد لأن التحويلات من الخارج لم تتوقف وبالتالى لم يتأثر أهلها بما يجرى فى القاهرة وغيرها من المدن من توتر أثر على أهالى تلك المدن.

الليلة الرابعة عشر
صعيدي في أوروبا

يا جدى دعنى أحكى لك حكاية سفرى لأوربا هذه الليلة بدأت الحكاية عندما أعلنت وزارة التربية والتعليم عزمها إرسال بعثات من المعلمين للتدريب على الطرق

الحديثة فى تدريس مواد العلوم واللغة الإنجليزية والرياضيات ولما كانت الشروط التى أعلنتها الوزارة تنطبق علىَّ من حيث العمر ومادة التدريس وهى الرياضيات كما تعرف تقدمت فيمن تقدم للحصول على إحدى البعثات وبعد دورة تدريبية للغة الإنجليزية فى مركز (محو الأمية وتعليم الكبار) بمدينة سرس الليان محافظة المنوفية لمدة شهر وامتحان اللغة الإنجليزية (التويفل)

بالجامعــة الأمريكيــة تــم ترشــيحى للســـفر لجامعـــة **هيريـــوت وات (HERIOT-WATT UNIVERSITY)** بمدينـــة إدنبـــرا **(EDINBURGH)** عاصمة إسكتلاندا بالمملكة المتحدة وذلك فى منتصف شهر سبتمبر من عام أربعة وتسعين وتسع مئة وألف حزمت حقيبتى وركبت القطار من قنا حتى القاهرة ومنها إلى المطار حيث أقلتنى الطائرة أنا وخمسة وسبعين مدرسًا من مختلف أنحاء الجمهورية

إلى مدينة مانشستر ببريطانيا فى رحلة استغرقت ست ساعات طيران وصلنا المطار حوالى السادسة مساء بتوقيت إنجلترا وبتنا ليلتنا بأحد الفنادق القريبة من المطار وفى الصباح ركبنا الأتوبيس فى رحلة استغرقت أربع ساعات حتى وصلنا إلى مدينة إدنبرا وهناك نزلنا فى معسكر (نيو ونجتون) الخاص بسكن الطلبة المغتربين وتم تسكيننا كل واحد فى غرفة مستقلة وفى المساء اصطحبنا أحد المشرفين

الإنجليز فى جولة استكشافية للمدينة وتعرفنا على طريق الذهاب للمعهد الذى ندرس به وهو معهد التربية **(INSTITUTE OF EDUCATION)** التابع لكلية موري هاوس **(MORAY HOUSE)**

بتنا ليلتنا الأولى وكلى هواجس من هذا المجتمع الغريب عنى فى عاداتة وتقاليده وطريقة أكلة وشربة وربما فى طريقة مشيه وتعامله مع الآخرين ولكن سرعان ما تعودت على النظام المتبع هناك - حتى أننى

والحمد لله لم تسجل علي أي مخالفة طوال فترة التدريب من قبل المشرفين على البعثة فى المدة التى قضيتها هناك – وفى الصباح توجهنا للمعهد وفى الموعد المحدد وجدنا (مستر جالاس **Galas**) المشرف على البعثة فى انتظارنا وأخذنا فى جوله داخل المعهد وتعرفنا على أقسامه المختلفة وكل مجموعة منا التحقت بالفرقة المعدة لها وسرعان ما بدأ العمل من الثامنة صباحًا حتى الثانية

بعد الظهر (لاحظ أن ساعات النهار فى ذاك التوقيت وهذه المدينة لا يتجاوز ثمانى ساعات والباقى ليل) وفى اليوم الثانى وبعد موعد العشاء تم الإجتماع مع مدير المدينة الجامعية وممثل من البنك الإسكتلندى ومندوب من شركة الأتوبيس الخاصة وذلك لإطلاعنا على ضوابط السكن بالمدينة واستخراج كارنية لركوب الأتوبيسات الخاصة بالشركة وكذلك استخراج كارنية للتعامل مع البنك

(الفيزا كارت) بخصوص المرتبات وأى تعاملات مادية أخرى وبعدها تفرغنا تماما للدراسة بالمعهد التى استمرت ثلاثة أسابيع بعدها وُزِّعنا على مدارس المدينة وكنت ممن التحق بمدرسة (**سات أوجستين هاى سكول**) وهى أحد المدارس الثانوية بالمدينة لأعمل مدرس مساعد لمدرس الرياضيات بالمدرسة (مستر سميث **Themes**) وقضيت معه أسبوعين مواظبًا على أداء عملى معه

داخل وخارج الفصل أراقب عمله وأنقل منه كل شاردة وواردة لأستفيد منها فى طريقة تدريسى عندما أرجع لبلدى وأقر أننى أستفدت منه كثيرًا وصرنا صديقين وبعدها عدنا مرة أخرى للدراسة بالمعهد لمدة ثلاثة أسابيع أخرى وبعدها تم توزيعنا على مدارس تختلف عما كنا فيها فى الأسابيع السابقة فقضيت ثلاثة أسابيع بمدرسة (نورث برويك هاى سكول

(NORTH BERWICK HIGH SCHOOL)

وهـى مدرسـة ثانويـة فـى إحـدى القرى الإسكتلندية وتبعد حوالى اثنين وعشرون ميلا عن مدينة إدنبرا يقطعها القطـار فـى حـوال سـاعة إلا الربـع وحقيقـة كانـت اسـتفادتى مـن تلـك المدرسة أكثر بكثير من سابقتها حيث خرجت إلى الريف الإنجليزى بعيدًا عن صخب المدينة ورأيت ما به من جمال للطبيعة ومابة من مزارع للأبقار والخيـول وللكـلاب أيضـا وكـذلك عملت مدرسا مساعدًا للأستاذة (**روز**

ماری) مدام باكنجهام وهی مدرسة رياضيات مشهود لها بالكفاءة العلمية والأخلاقية داخل وخارج المدرسة وفى أول يوم لوصولنا للمدرسة أنا وزميلى صلاح اصطحبتنا لقسم الرياضيات وهو عبارة عن مبنى مستقل لكل مدرس رياضيات فصل خاص به يأتى إليه التلاميذ للحصول على حصتهم وبعدها يتحركون لقسم آخر للحصول على حصة أخرى وهكذا بمعنى أن المدرس لا يتحرك

من فصل لآخر بل الطلاب هم اللذين يتحركون من فصل معلم لفصل معلم آخر وكذلك للمعلم مكتبة خاصة تخدم المادة العلمية التى يدرسها وما على الوزارة إلا أن تبلغة برؤوس الموضوعات الواجب تدريسها للسنة الدراسية وعليه هو إعداد المنهج وتدريسه واختبار الطلاب فيه وذلك من الصف الأول الثانوى حتى الصف الرابع أما الصف الخامس فيكون الامتحان به على مستوى المملكة

المتحـــدة وبعـــدها ينتقـــل الطـــلاب المتفوقـون للصـف السـادس والسـابع الثانوى لدراسة تخصصية تتناسب مع الدراسـة الجامعيـة المرشـحين لهـا أمـا الطــلاب الحاصــلين علــى درجــات متدنيـة فـى الصـف الخـامس فيخرجـو لسوق العمل لأنهم تدربوا أصلًا على مهـن فنيـة (مـن حـدادة ونجـارة وزينـة و....) أثنـــاء دراســـتهم الثانويـــة ومـــن ذلك نلاحظ أن السلم التعليمى يتكون مــن خمــس ســنوات مرحلــة ابتدائيــة

وسبع سنوات مرحلة ثانوية ولاتوجد مرحلة إعدادية وكذلك لا توجد مدارس فنية (صناعى وتجارى وزراعى) بل يدرس الطالب البرامج الفنية مع التعليم العام .

وبعدها عدنا للدراسة فى المعهد لمدة أسبوعين حصلنا بعدها على شهادة من الجامعة بختام الدورة التدريبية فى حفل أقيم بمدرج الجامعة حضرة معنا عميد كلية مورى هاوس.

هـذا مـن الناحيـة المهنيـة الخالصـة والمهمة التى أرسلتنا الدولة إليها

*****

أما من ناحية الفسحة والإختلاط بالمجتمع ففى الليلة الأولى لوصولنا لمدينة مانشستر تم توزيعنا على غرف فندق المطار كل اثنين بغرفة وكان الجو شديد البرودة ولم نجد على كل سرير إلا بطانية واحدة للغطاء والبرد شديد فاقترحنا أن ننام أنا وزميلى على سرير واحد ونتغطى بالبطانيتين وهكذا

قضينا ليلتنا وفى الصباح نشكو لعامل الفندق من قلة عدد البطاطين فى هذا الجو القارس لنفاجأ به يسحب من تحت كل سرير عدد اثنان بطانية احتياطى فنظرنا إلى بعضنا وضحكنا بصورة ملفتة للنظر ولم يكتفى عامل الفندق بهذا بل فتح درج وأخرج منه عدة الشاى فشكرناه وأعددنا كوبين من الشاى قبل النزول لمطعم الفندق لتناول وجبة الإفطار.

فـى الأسـبوع الأول وبعـد انتهـاء محاضـرات المعهـد اتفقـت مـع أحـد الـزملاء أن نتمشـى مـن المعهـد حتـى السكن حيث المسافة لاتتجاوز ثلاثة كيلـو متـرات تقريبًـا وكنـا أول مـرة لا نستقل الأتـوبيس وأخـذنا الحـديث والفرجـة علـى المحـلات والجـو كـان ملبـدًا بـالغيوم ولنفاجـأ بأننـا ضـللنا الطريـق ومشـينا فـى شـارع لايوصـلنا للسكن هنا توقفنا وسألنا أحد رجال

الشـرطة الـذى اصـطحبنا ودلنـا علـى بداية الطريق الصحيح للعودة للسكن.

بعد حوالى شهر من الإقامة بمعسكر الطلبـة وكـل صـباح أخـرج لمحطـة الاتــوبيس لأســتقله حتــى محطــة (ويفرلى) الخاصة بالقطارات وبينما أنا فى طريقى لمحطة الأتوبيس إذ برجل فـى الثمانينيـات مـن العمـر – ويعمـل بمدرسـة قريبـة مـن السـكن ومهمتـه مسـاعدة الأطفـال الصـغار فـى عبـور الطريــق بــأن يوقــف حركــة مــرور

السيارات حتى يعبروا للجانب الآخر ويعيد الحركة للسيارات مرة أخرى- يجلس بالقرب من المحطة وبمرورى أمامه قلت له (**good morning**) ففوجئت بالرد إذ قال بلغة عربية مكسرة (صباح النور) فوقعت الكلمة على أذنى وكأنى لأول مرة أسمعها فتقدمت إليه وسلمت عليه وبعد أن عرف أننى مصرى أخبرنى بأنه كان أحد الجنود الإنجليز العاملين فى مصر وقت الاحتلال وعمل فى محافظة بورسعيد

وأنـــه يكـــن لمصـــر والمصـــريين كـــل الاحترام حتى بعد أن عرف أن إسمى (عبدالناصر) لأن هذا الاسم كان يعنى الكثيـر بالنسـبة للإنجليـز ومـن يومهـا صـرنا أصـدقاء وكـل صـباح نتحـدث سويًا قبل وصول الأتوبيس للمحطة.

*****

أما من الناحية الثقافية فحدث ولا حرج:

مدينة إدنبرا من أقدم المدن الأوربية وبها قلعة للحكام القياصرة القدامى

مبنية على ربوة عالية ومبطنة أرضيتها والطرق المؤدية إليها جميعها بالطوب حتى يحافظون على الإرث التاريخى لقياصرة أسكتلاندا القدامى وكان يحكم أسكتلاندا فى أثناء بعثتنا لها الأمير (فيليب) زوج الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا وكل ما فى القلعة أو حولها ينبض بإرث تاريخى وعظمة حكام حكموا تلك البلاد لعقود طويلة ومازال أحفادهم يحكمون حتى يومنا هذا.

نظمــت لنــا المدينــة الجامعيــة (new wington cambs) رحلـة للمفاعـل النـووى الإسـكتلاندى وبعـد تسـجيلنا لأسـماء المشـاركين فـى الرحلـة ركبنـا أتوبيس خاص وبعد حوالى ساعة من تحركــه مــن المعســكر وصــلنا إلــى شاطى المحيط الأطلنطى وهناك أمام أحد المبانى التى تشبه مبانى المصانع توقف ونزلنا ودخلنا إلى قاعة صغير جلسنا وقدم لنا مشروبًا وقابلنا أحد مهندسـى المفاعـل وشـرح لنـا تـاريخ

وعمل المفاعل ثم عرض لنا شريط فيديو يبين مراحل بناء المفاعل الذى يعمل بالماء الثقيل وعندما سألناه عن اليورانيوم وعن الدول التى يتم إستيراده منها أخبرنا بأنه يتم استيراده من جنوب أفريقيا ومن ليبيا ورفض أن يجيبنا على سؤال عن الإستخدامات العسكرية لليورانيوم المخصب واكتفى بتوضيح أن هناك أسئلة غير مصرح بالإجابة عنها.

بعد ذلك تم تقسيمنا لمجموعات أصغر كل واحده من ثمانية إلى عشرة أفراد ودخلنا الأماكن المسوح لدخول المدنيين لها داخل المفاعل وبصحبة كل مجموعة أحد المهندسين العاملين بالمفاعل ولم نتقابل مع أى من المجموعات داخل المفاعل والتقينا فى نهاية الزيارة فى نفس القاعة التى تم أستقبالنا بها فى بداية الزيارة.

متحف إدنبرا (**رويال ميوزيم**) من أكبر المتاحف فى العالم قضيت به

يومًا كاملًا أتجول فى أدواره المتعددة وقاعاته الفسيحة ومعروضاته النادرة. فــى قســم الألآت الميكانيكيــة رأيــت نموذجًـــا لأول ســـاعة بتصـــميمها الحديث ووزنها الذى يقارب مئة كيلو جرام والقطار وشكله البدائى وكذلك ماكينات الرى الإنجليزية على مختلف أنواعها والسيارات ومراحل تطورها.

وفــى قســم التحنــيط نمــاذج لكــل الحيوانــات التــى توجــد علــى ســطح الأرض وكذلك الزواحف والقوارض

وهيكل عظمى لأكبر ديناصور عرفه الإنسان.

وفى قسم الطيور من الفراشات حتى النسور وأين تقع بيئتها الطبيعية ؟ وتاريخ عرضها داخل المتحف.

أما فى قسم الآثار فالنادر منها تجده هنا مع نبذة عن البلد المنتمى إليه الأثر ومتى تم ضمه للمتحف.

الليلة الخامسة عشر

الجنازة

مـرض الشـيخ ولازم الفـراش ولـم يسـتطع أن يـذهب إلـى أرضـه يعـاين الزرع ويرعى متطلباته بل اعتمد على زوجته وبناته فى أكله وشربه وقضاء حاجته وبعد تجريب الوصفات البلدية

للعلاج من خلط الحناء بالملح والماء وعمل لَبِيْخَة على رأسه حتى يخف الصداع لكن دون جدوى كما أن الانتفاخ الذى يشعر به فى بطنه لم تفلح معه وصفات المش القديم ومشروب اليانسون والحلبة ولا حتى زجاجة الكاكولا مما استدعى إرسال تلغراف لابنه فى حلوان حتى يحضر لأبيه مع التأكيد على خبر أن والده شرب الكاكولا ولم يُشفَ من مرضه حضر الابن بعد يومين وقرر نقل أبيه.

لحكيم فى قوص أو قنا واستقر الأمر لنقله للدكتور" نسيم "بقنا وفى الصباح الباكر حملوه على حمار حتى المُورَدة وانتظروا الرَّفَّاص القادم من نقادة إلى قنا والذى يقطع المسافة البالغة ثلاثون كيلومترًا فى أربع ساعات أو يزيد وهناك تم عرضه على الطبيب- بعد دفع الفيزيتا وقدرها خمسة وعشرون قرشًا – تفحصه وسأله بعض الأسئلة المتعلقة بمرضه وما يحس به من آلام وهى مستمرة أم على فترات وبعدها

أمسك القلم ودوَّن روشتة العلاج التى تحتوى على أقراص للصداع وكذا مشروب وحقن للغازات التى يعانى منها داخل بطنه منذ أيام وكذلك تضمنت بعض الأطعمة التى يتناولها فى فترة العلاج مثل ديك شامورتى أو أرنب صغير يقسم الى أربعة أجزاء وكل يوم يأكل جزء حتى يتقوى على العلاج وعلى الهزال الواضح على وجهه من سوء التغذية وبعدها طمأن الدكتور المرافقين للمريض بأنه

سيكون بخير بعد فترة العلاج التى ستمتد من ثلاثة الى أربعة أيام مع الحركة ودخول الحمام وإجراء عملية التبرز التى لم يفعلها منذ أربعة أيام ولم يخبر أحد بذلك إلا الطبيب.

تم صرف الروشتة من أحد الصيدليات ورجع الجميع إلى الرفاص ليقلهم فى طريق العودة وأثنائها تحركت بطنه بسبب فعل العلاج وطلب دخول الحمام وساعده ابنه وأحد أقاربه وما أن جلس على

المرحـاض حتـى سـمع الاثنـان دوى صوت ضُرَاط صادر من فتحته السفلية فصاح أحد مرافقية " عافية على بدنك " كررهـا مـرتين أو ثـلاث فـتح بـاب الحمـام وخـرج وأجلسـوه فـى مكانـة لحظات وشعر بالقىء مال برأسه على جانب الرفاص وتقىء- بمساعدة ابنه وتشـجيعه- كمية مـن السـائل الأصـفر ربما من لون كوب الحلبة الذى شربه فــى الصــباح بعــدها أحــس بارتيــاح وبــدأت حــرارة جســمه فــى النــزول

وصحته العامة بدأت فى التحسن والصداع بدأ يخف عن ذى قبل وقبل نزوله المُورَدة كان قد إستعاد نصف عافيته.

حملوه الى بيته وبدأت الناس تتردد لزيارته والاطمئنان على صحته وهو لا يكف عن حكايته مع الدكتور وكيف نصحه بأكل الديك الشامورتى والبطاطس المسلوقة ويعرض عليه بعض زائريه مساعدته فى الأكل ويرفض على سبيل الدعابة - بحجة

أن الديك لو نقص وِزْكًا لن يشفى هو من مرضه – واستمرت حالتة الصحية فـى التغيـر مـن يـوم لآخـر مـع تقـدم طفيـف بفعـل العـلاج ولكـن إرادة الله كانت هي الأقوى .

*****

مات الشيخ وأشيع فى القرية خبر وفاتــه وتجمعــت النســوة عنــد بيتــه لمواساة زوجته وبناته اللواتى شققن الجيوب ووضعن الطين على رؤسهن ووجـوههن حزنًـا ولوعـة علـى أبـيهم

وربمـــا ليتعـــرف علـــيهم المعزيـــات ويميـــزونهن مـــن الأخريـــات بينمـــا انصرف الرجال لتجهيز الميت وأرسل بعض الشباب لجلب عَبَل الأَثْل كى يتم فرشه على سرير المتوفى وتغسيله وتكفينــه بمعرفــة الشــيخ عبدالســلام الصُّـن - المتخصـص فـى هـذا العمـل لوجــه الله دون مقابــل- وانبــرى ابــن الشيخ وأبناء أخيه فى البكاء والتسبيل عليـه بينمـا كلـف ثلاثـة مـن الشـباب بالـذهاب الـى الشـيخ فنجـرى بالجبـل

حتى يجهز القبر استعدادًا لدفن الميت.

وبعد صلاة العصر والصلاة على الجنازة بمسجد القرية تم حمل النعش على الأعناق بالتناوب بين الشباب وكل من يستطيع حمل النعش من الكبار مسافة لاتقل عن ثلاث كيلو مترات تبعدها جبانة الشيخ موسى عن القرية يتم قطعها فى ساعتين أو يزيد سيرًا على الأقدام بينما نحن الصغار مكاننا خلف الجنازة نركب الحمير

التى ستقل المشيعين بعد الدفن ويعودون بها إلى قُراهم.

يفتح ديوان العائلة لمدة سبعة أيام – بعد أن كانت تسعة – يستقبل المعزين من البلدة والبلاد المجاوره والبعيدة من معارف وأصحاب المتوفى وعائلتة ويأتى المعزون كل فى رهط وينزلون من الرَّكايب ويقوم البعض من أهل المتوفى بشد وثاقها فى حِلْس خُصِّص لذلك حتى ينتهى أصحابها من واجب العزاء بعد

استقبالهم والجلوس فى المكان المناسب لهم وتحيتهم بالسجاير والماء والاستماع لبعض آيات الذكر الحكيم من مقرئ الجنازة ويقوم أكبرهم سنًا بالوقوف لقراءة الفاتحة ترحمًا على الميت ويلقى السلام استئذانًا فى الانصراف ويشكره أهل الميت على فعلته وما إن يخرجوا من باب الديوان تكون ركايبهم فى استعداد بمعرفة الواقفين خارج الديوان يركب كل منهم ركوبته

مودعًــا، وأهــل الميــت فــى إنتظــار القادمين الآخرين.

كل أسرة من أهل وأقارب المتوفى عليهـا تقـديم طعـام الإفطـار والغـداء والعشاء لأهل المتوفى .

الإفطـار: شـاى أوحليـب أحيانًـا مـع قطعة خبز وما شابة ذلك .

الغـداء :بعـض المقليات ومش وجبن وسلطة.

العشــاء: فــول أو عــدس أو شَــلَولَو وممنـوع اللحمـة نهائيًا علـى اعتبـار أن

أكـــل اللحمـــة مـــن عـــادات الأفـــراح – حسـب معتقـدات هـذا الوقـت - إلا طبلية واحـدة تخـص المقـرئ ويتكفـل بهـا كـل يـوم واحـد مـن أقـارب الميـت تسـتثنى بطبـيخ اللحـم ويتعشـى عليهـا مقرئ الجنازة.

أهـل الميـت يبيتـون بالـديوان طـوال فتـــرة النَّصْـــبَة وبعـــدها يعـــودون الـــى بيـوتهم وتسـتأنف الحيـاة وهكـذا حـال الدنيا والدوام للواحد الديان.

*****

يا جدى الحال اختلف الآن، يتوفى الإنسان ويُعلن فى ميكروفون المسجد أن فلان توفى والجنازة الساعة (تحدد ساعة تشييع الجنازة)وهكذا فى البلاد المجاورة .

يُغسَّل ويُكفَّن الميت وينقل للمسجد للصلاة عليه عقب الصلاة المكتوبة أو قبلها ثم يحمل بعربة والمشيعون جميعهم يركبون السيارات من خارج المسجد وتتحرك الجنازة فى طريق معلوم للكافة وهنا يقبر

بالجبانـة وتعـود السـيارات بالمشـيعين وأهل الميت الى الـديوان للنَّصْبَة التى تســتمر ثلاثــة أيــام ويــأتى المعــزون بســياراتهم لتقــديم واجــب العــزاء ويحيــيهم أهــل الميــت (شــكر الله سَــعْيَكم) ويــرد المعــزون (غفــر الله ذنبكم) وبعـد الاستماع لما يتيسر من آيـات الله البينـات مـن مقـرئ الجنـازة ينصــرف المعــزون ويــودعهم أهــل الميت.

أما مــن ناحية طعــام أهــل الميت

فحدث ولا حرج عن العشاء وما به من لحوم حتى أن الشخص لو كان المتوفى له من أقرب الأقرباء لا يستطيع إلا أن يكون اللحم هو سيد الطعام على صينية الأكل التى يعدها للديوان وإلا أُتهم بالبخل وعدم تقدير الواجب.

الـمحتوى

******